المحبة لمخالف الملة

قراءة في الكتب المقدسة: اليهودية – المسيحية – الإسلامية

د. جمال الحسيني أبوفرحة

أستاذ علم الكلام والمذاهب والأديان المساعد

قسم الفلسفة. كلية الآداب. جامعة السـويس

ملخص

تحاول هذه الدراسة الإجابة على التساؤل التالي: ما موقف النصوص المقدسة في الأديان الثلاثة (اليهودية، المسيحية، الإسلام) من المحبة لمخالف الملة؟.

وتهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

- تقليل حدة الخلاف بسد فجوة الزائف من الاختلاف بين أصحاب الأديان محل الدراسة.
- ترسيخ التعايش المثمر البنّاء بين المؤمنين بأي من النصوص المقدسة موضع الدراسة وغيرهم.
- الإسهام في تقديم ميزان عملي يمكن أن تقاس به صحة الأديان واكتمالها؛ وذلك أن الدعوة الأخلاقية للأديان – بحسب قراءتنا للنصوص– هي هدفها الأسمى وتعد دليلا عمليا على صحة الدين إن صحت وعلى اكتماله إن كملت. إلا أن هذا الميزان لا يتجلى إلا بدراسة موسعة مقارنة للأخلاق في الأديان المختلفة ولعل دراستنا هذه تكون لبنة لتلك الدراسة المهمة.

وتُعد هذه الدراسة – بحسب بحثي واستقصائي– الأولى في اللغة العربية بل والإنجليزية في موضوعها.

Loving the unbelievers

Reading in the Scriptures: Jewish - Christian - Islamic

By Jamal Elhosieny Abu Farha

This study attempts to answer the following question: What is the position of the sacred texts in the three religions (Judaism, Christianity, Islam) from love to the unbelievers?

This study aims to:

• Reducing the differences by closing the false gap between the different religions.

• Establishing fruitful and constructive coexistence among believers in any of the sacred texts studied and others.

• Contributing to the presentation of a practical balance that can be measured the validity and completeness of religions.

This study is, according to my research, the first in Arabic and even English in its subject

مقدمة:

بدأ مصطلح "صناعة الأعداء" في الازدهار بعد انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي، وبجرأة غير متوقعة أصبحنا نسمع حديثا معاصرا يبرر العداوة للآخر لمجرد أنه آخر من أجل مصالح مجتمعية[1]، وسياسية[2]، واقتصادية[3] وبالإضافة لتلك المصالح كانت هناك مشكلات ثقافية[4] ولغوية[5] تدعم هذه العداوة، ولا يغيب الاستعلاء العرقي والبواعث النفسية عن هذا الدعم[6]، وهو ما فصلناه في دراستنا المعنونة بـ "التعايش مع الآخر: مفهومه، أهميته، معوقاته"[7].

لكن العداوة ليست مغنما! والصداقة ليست مغرما!. ولم يعد أمام أبناء آدم خيار في التعايش مع بعضهم البعض ما تحققت ركائز التعايش – من عدل وحرية وحوار وإحسان- إن لم يكن لتحقيق المغانم المرجوة فدرءا للمغارم والمخاطر المحدقة التي تهددهم جميعا!. فما أحوج البشرية لاستبدال صناعة الأصدقاء بصناعة الأعداء!.

وإسهاما منا في ذلك، وبحكم تخصصنا في دراسة الأديان، كان وقوفنا أمام التأصيل الديني للعلاقة بين المؤمنين والكفار في الأديان الإبراهيمية الثلاثة، فجاءت دراستنا هذه – كحلقة في سلسلة دراسات لنا حول هذا الموضوع- لتسلط الأضواء على النصوص المقدسة المتعلقة بالمحبة لمخالف الملة محاولة منا للوقوف على حقيقة دعوة الأديان الإبراهيمية الثلاثة إلى التعايش المثمر البناء مع مخالف الملة، هل تدعمه أم تنقضه؟!

وبقدر التوازن النفسي الذي تطرحه نصوص الأديان المقدسة وما ينبثق عنه من مشاعر إنسانية وأخلاق حميدة تسعى لتتجسد عمليا في مجموعة من الممارسات العملية تتمايز الأديان: فيتضح باطلها من صحيحها، ومكتملها من ناقصها؛ **ومن ثمة تتجلى أهمية دراستنا هذه؛** فالمحبة ليست مجرد شعور داخلي بمعزل عن الأخلاق العملية.

فإن تشابهت أديان في دعم هذا الشعور تجاه الآخر، فلا شك أن لفت الانتباه إلى بعض وجوه الالتقاء بين هذه الأديان يستثير رغبة المؤمنين بها في التوافق والاتفاق في مواطن النزاع، **وكل ذلك يدعم الحق ويرسخ التعايش، وهو ما تصبو إليه دراستنا هذه.**

وإن لم توجد نصوص في دين ما تحث على المحبة لمخالف الملة، أو لم تدل النصوص صراحة على ذلك، أو دلت على عكس ذلك؛ فإن إظهار المحبة لأصحاب هذا الدين يعمل على تخفيف حدة مشاعر التوتر والخوف والغضب لديهم وما ينبني على ذلك من حيل دفاعية ومواقف عدوانية، ويخلق جوا ملائما لتغيير السلوك وتعديله؛ فبدرجة أو بأخرى يتم رفض النصوص العدائية، أو تأويلها لصالح المحبة لمخالف الملة. **وكل ذلك يدعم السلام ويرسخ الوئام، وهو ما تصبو إليه دراستنا هذه.**

ودراستنا هذه عن المحبة تدور حول ركيزة من ركائز التعايش ألا وهي الإحسان؛ وذلك أن الحب شعور ينحو بصاحبة إلى الإحسان إلى محبوبه؛ وإن لم يكن في مجرد الشعور بالحب إحسان من المحب إلى المحبوب.

مدخل إلى الدراسة

حدود الدراسة.

أسئلة الدراسة.

أهداف الدراسة.

منهج الدراسة وضوابطها.

مصطلحات الدراسة.

الدراسات السابقة.

تقسيم الدراسة.

أولا: حدود الدراسة:

لقد آثرنا تخصيص دراستنا هذه بـ "مخالف الملة" لما يلي:

سعة الموضوع.

إن محبة مخالف الملة موضع خلاف ونزاع عند أصحاب الأديان محل الدراسة.

إن مخالف الملة – في الأعم والأغلب عبر التاريخ– كان معاديا بدرجة أو بأخرى؛ ومن ثمة فتحقق المحبة له لا شك يعني تحققها نحو من هو أولى بذلك منه: من موافق في الاعتقاد، ومحب، وحليف...الخ.

ثانيا: أسئلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة على التساؤل التالي:

ما موقف النصوص المقدسة في الأديان الثلاثة: (اليهودية، المسيحية، الإسلام) من المحبة لمخالف الملة؟.

ثالثا: أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

أ- تقليل حدة الخلاف بسد فجوة الزائف من الاختلاف بين أصحاب الأديان محل الدراسة.

ب- ترسيخ التعايش المثمر البنّاء بين المؤمنين بأي من النصوص المقدسة موضع الدراسة وغيرهم.

ت- الإسهام في تقديم ميزان عملي يمكن أن تقاس به صحة الأديان واكتمالها؛ وذلك أن الدعوة الأخلاقية للأديان – بحسب قراءتنا للنصوص– هي هدفها الأسمى[8] وتعد دليلا عمليا على صحة الدين إن صحت وعلى اكتماله إن كملت. إلا أن هذا الميزان لا

يتجلى إلا بدراسة موسعة مقارنة للأخلاق في الأديان المختلفة ولعل دراستنا هذه تكون لبنة لتلك الدراسة المهمة.

رابعا: منهج الدراسة وضوابطها:

ومنهجنا في هذه الدراسة هو: المنهج الاستقرائي التحليلي الاستنباطي النقدي المقارِن للنصوص المتعلقة بموضوع البحث.

وفي دراستنا هذه آثرت الترتيب الزمني في العرض بقدر الإمكان فابتدأت بالنصوص اليهودية ثم أتبعتها بالمسيحة ثم أعقبتها بالنصوص الإسلامية؛ وإن لم ألتزم بالترتيب الزمني في عرض النصوص داخل كل دين؛ ففي حديثي عن اليهودية قدمت النصوص التلمودية على نصوص العهد القديم؛ مراعاة لوصل الحديث عن العهدين: القديم والجديد؛ حتى يتضح موقف النصارى الذين يؤمنون بالعهدين. ولم أفصل في حديثي بين القرآن والسنة فصلا كاملا فتحدثت عنهما تحت عنوان موحد هو قراءة في النصوص الإسلامية لتداخل الحديث في كثير من الأحيان وصعوبة الفصل بينهما. والأصل الذي اعتمدناه في ترتيب نصوص القرآن والسنة – ما لم يدع داع إلى خلاف ذلك– هو تقديم السنة على القرآن انطلاقا من إيماننا بأولوية ترتيب الأدلة تصاعديا من الأضعف إلى الأقوى[9].

وقد كان اعتمادنا على نصوص الكتاب المقدس في الطبعة المنشورة على الموقع الإلكتروني لكنيسة الأنبا تكلا هيمانوت التابعة للكنيسة المصرية الأرثوذكسية[10] ما لم ننص على خلاف ذلك.

وعند الاقتباس من مراجع الدراسة ومصادرها حرصت على الإشارة إلى ما يُسهِّل رجوع القارئ إلى موضع النص المقتبس مهما اختلفت الطبعات؛ فكان حرصي على ذكر الباب، والفصل...الخ، أكثر من حرصي على ذكر ما يتغير بتغير الطبعات.

خامسا: مصطلحات الدراسة:

مخالف الملة: ونقصد به كل من خالف غيره في ركن من أركان إيمانه.

محبة مخالف الملة: لا يمكننا الانطلاق في تعريف محبة مخالف الملة من مفاهيم دينية محددة سلفا؛ فالمفهوم الديني لمحبة مخالف الملة هو موضع نزاع في دراستنا هذه، تحدده الدراسة ولا تتحدد به.

القراءة العلمية للنصوص المقدسة: نزعم أن قراءة فقهية أيا ما كانت لا يمكن أن تعد ممثلة لموقف نص مقدس؛ فتلك دعوى نراها باطلة[11]؛ فالقراءة غير المعصومة لا يمكن أن تعد ممثلة لنص مقدس. ولا يعني ذلك غياب الحق وضياع الحقيقة بين الآراء إذا اختلفت، وإنما يُلزم الإنسان بقناعته التي يتحصل عليها بعد صدق العزم وبذل الجهد المناسب.

الكتب المقدسة اليهودية، وهي: (التلمود، والتناخ).

والتلمود: كلمة عبرية معناها التعلم[12]، وينقسم إلى قسمين: الأول: المشنا: وهي مجموعة الأحكام والتعاليم والتفاسير والوصايا التشريعية التي تناقلت عبر الأجيال من عهد موسى عليه السلام حتى عهد يهودا هنَّاسي (132- 217م) الذي قام بتنسيقها وتسجيلها. والثاني: الغمارا: وهي تعليقات وشروح الحاخامات على المشنا، ومن العلماء من يطلق كلمة التلمود على الغمارا فقط، ولا يعرف من دون المشنا للمرة الأولى، وحوالي عام 200م قام الحاخام يهودا هنَّاسي[13] بجمع كثير من المشناوات في مجموعة واحدة متناسقة، وكثيرا ما أغفل اسم كاتبيها. وللتلمود نسختان: البابلي، والأورشليمي؛ وبينهما كثير من الاختلافات. والمشنا في كلا التلمودين واحدة والخلاف بينهما منحصر في نص الجمارا، ويعد التلمود البابلي هو الأكثر شيوعا بين اليهود، ويقدر حجمه بما يقارب ثلاثة أضعاف التلمود الأورشليمي، ويحتل التلمود المقام الثاني بعد العهد القديم عند عامة اليهود، ومنهم من يرفضه كالسامرة والصدوقيين والقرائين[14].

والتناخ: يقصد به: كل من: أسفار التوراة، وأسفار الأنبياء[15]، وأسفار الحكمة أو الكتابات؛ وكلمة تناخ كلمة مكونة من الحرف الأول من كل من كلمة: (توراة – نفيئيم – ختوفيم) باللغة العبرية بمعنى: (التوراة – الأنبياء – الكتابات). وقد ترددت فرق اليهود في الإيمان ببعض أسفار التناخ أو (العهد القديم كما يسميه النصارى) أو ببعض أجزائها من عصر إلى آخر.

4- الكتب المقدسة المسيحية: وهي: (العهد القديم، والعهد الجديد).

العهد القديم: لعل بولس الرسول[16] هو أول من أطلق هذه التسمية على الأسفار المقدسة التي يسميها اليهود بالتناخ[17]، وتابعه النصارى في ذلك الإطلاق ليشيروا بذلك إلى أن هناك عهدا آخر جديدا يتكون من الأسفار المسيحية المقدسة لديهم. وبالطبع يرفض اليهود هذه التسمية لأن موافقتهم تعني إيمانهم بعهد جديد جاء بعد عهدهم. وقد ترددت فرق النصارى في الإيمان ببعض أسفار العهد القديم وببعض أجزائها من عصر إلى آخر، وقد كان اختيارنا للاسم النصراني لهذه الأسفار لاشتهارها به أكثر من اشتهار الاسم اليهودي[18].

والعهد الجديد: هو ما يؤمن به النصارى وحدهم؛ ويتكون من سبعة وعشرين سفرا، وهو عبارة عن: أربعة أناجيل (متى، مرقس، لوقا، يوحنا)، وسفر أعمال الرسل، ومجموعة رسائل بولس الرسول وعددها أربع عشرة رسالة، ومجموعة الرسائل الجامعة وعددها سبع رسائل، وأخيرا رؤيا يوحنا اللاهوتي.

5– الكتب المقدسة الإسلامية: وهي: (القرآن، والسنة).

والقرآن لغة: مصدر، بمعنى القراءة، وفي اصطلاح علماء الإسلام: هو كلام الله المعجز، المنزل على رسوله ﷺ ، المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بين دفتي المصحف تواترا من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس[19].

والسنة في اللغة: الطريقة والسيرة حسنة كانت أم سيئة[20] والتعريف الإجرائي المختار لها في بحثنا هذا هو التعريف الاصطلاحي لها عند علماء أصول الفقه، وهو أنها: ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير[21]، مما يصلح أن يكون دليلا لحكم شرعي.

سادسا: الدراسات السابقة:

تُعد هذه الدراسة – بحسب بحثي واستقصائي– الأولى في اللغة العربية بل والإنجليزية في موضوعها.

سابعا: تقسيم الدراسة:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تأتي في مقدمة، ومدخل، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للمحتويات.

أما المقدمة: فقد تحدثت فيها عن أهمية الدراسة.

وأما مدخل الدراسة: فبينت فيه حدود الدراسة، وأسئلتها، وأهدافها، ومنهجها، وضوابطها، ومصطلحاتها، والدراسات السابقة لها، وتقسيمها.

وأما المبحث الأول فقد عرضت فيه قراءتي للنصوص التلمودية المتعلقة بموضوع الدراسة.

وأما المبحث الثاني فقد عرضت فيه قراءتي لنصوص العهد القديم المتعلقة بموضوع الدراسة.

وأما المبحث الثالث فقد عرضت فيه قراءتي لنصوص العهد الجديد المتعلقة بموضوع الدراسة.

وأما المبحث الرابع فقد عرضت فيه قراءتي لنصوص القرآن والسنة المتعلقة بموضوع الدراسة.

وفي الخاتمة عرضت ملخصا للدراسة، ثم حللت نتائجها.

وفي نهاية الدراسة عرضت فهرسا للمصادر والمراجع ثم فهرسا للمحتويات.

أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت وأن ينفعني بهذا العمل في آخرتي ودنياي، وينفع به.

المبحث الأول

التلمود والمحبة لمخالف الملة

لم يمكننا الوقوف على مفهوم محدد للحب في التلمود سواء انطلاقا من لغته (العبرية) أو من نصوصه: فاللغة العبرية قد ضاع منها الكثير عبر القرون وقد سدد علماؤها نقصها باجتهادات واقتباسات من هنا وهناك. ومن ثمة لم تعد حجة في بيان مفهوم كمفوم الحب. ورغم أن لفظة الحب مستخدمة في التلمود إلا أني لم أعثر لها فيه على مفهوم محدد وتركت المسألة لاجتهادات الحاخامات.

ولعل من أهم وأشمل تعريفات الحاخامات للحب تعريف الحاخام ستينسالتز حيث يقول:[22]"في الاستخدام الشائع نجد أن كلمة الحب تستخدم أحيانا للتعبير عن الإعجاب فقط، أو الرغبة المجردة؛ بينما المعنى العام للحب يستدعي شيئين: الرغبة في أن تكون قريبا من موضوع الحب، والرغبة في أن تمنح أكثر فأكثر لهذا الموضوع".

وفيما يتعلق بمحبة مخالف الملة لم أعثر في التلمود سوى على نص واحد يأمر بمحبة الخلق أجمعين بصرف النظر عن انتمائهم الديني؛ يقول التلمود:[23]"كن..... محبا للخلق".

وفي الاتجاه المقابل نجد نصوصا كثيرة في التلمود تناقض عمليا محبة مخالف الملة؛ فيُكال له بيكل غير ذلك الذي يكال به لليهودي؛ ومن ذلك قول التلمود: "إذا وجد الإسرائيلي ...[بالمدينة] لقطة وكانت الأغلبية من الجوييم[24]، فلا يجب عليه أن يعلن عنها، وإذا كانت الأغلبية من الإسرائيليين فيجب عليه أن يعلن، وإذا كان سكان المدينة متساويين فيجب عليه أن يعلن"[25]. وقوله: "لا يقبل شرط الثروة الدائمة الآمنة[26] من الإسرائيلي؛ لأن ذلك يُعد ربا؛ ولكن يقبل شرط الثروة الدائمة من الأغيار"[27]. وقوله: "إذا نطح ثور الإسرائيلي ثور الغريب (غير اليهودي) فإنه يُعفى، أما إذا نطح ثور الغريب ثور الإسرائيلي فسواء كان غير مؤذ أو مشهود الضرر يعوِّض

(غيرُ اليهودي اليهودي) عن الضرر كاملا"[28]. وتفصيل الكلام في ذلك يحتاج إلى دراسة مستقلة عن العدل.

وفي مستخلص الدراسة لنا وقفة متأنية حول هذا التناقض وهذه الازدواجية الأخلاقية.

المبحث الثاني

العهد القديم والمحبة لمخالف الملة

لم يمكننا الوقوف على مفهوم محدد للحب في العهد القديم سواء انطلاقا من لغته (العبرية) أو من نصوصه: فاللغة العبرية قد ضاع منها الكثير عبر القرون وقد سدد علماؤها نقصها باجتهادات واقتباسات من هنا وهناك كما سبق بيانه، ورغم أن لفظة الحب مستخدمة في العهد القديم إلا أني لم أعثر لها فيه على مفهوم محدد.

ويفسح العهد القديم مكانا لمحبة الناس جميعا بصرف النظر عن دينهم:

فينفر من الحقد والحسد والكراهية؛ فيقول:[29]"القلب المطمئن يهب أعضاء الجسد حياة، والحسد ينخر في العظام".

وينهى عن كراهية المخالف في المعتقد؛ فيقول:[30]"لاَ تَمْقُتُوا الأَدُومِيِّينَ لأَنَّهُمْ إِخْوَتُكُمْ، وَلاَ تَكْرَهُوا الْمِصْرِيِّينَ لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ ضُيُوفاً فِي دِيَارِهِمْ".

ثم يحث العهد القديم على محبة المخالف في المعتقد؛ فيقول:[31]"وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكَ غَرِيبٌ فِي أَرْضِكُمْ فَلاَ تَظْلِمُوهُ. كَالْوَطَنِيِّ مِنْكُمْ يَكُونُ لَكُمُ الْغَرِيبُ النَّازِلُ عِنْدَكُمْ، وَتُحِبُّهُ كَنَفْسِكَ، لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ". وقد كانت غربة بني إسرائيل في مصر غربة مركبة: دينية، وعرقية، وثقافية،...الخ. ومن ثمة أرى أن الغريب الذي يطالب العهد القديم باعتباره كالوطني هو غريب غربته من أي من أنواع الغربة التي كانت لبني إسرائيل في مصر.

ويُغري العهد القديم بمحبة الناس أيا كان دينهم فيجعلها من لوازم الصديقين فيقول:[32]"إِنَّ الصِّدِّيقَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلنَّاسِ". وكلمة الناس كلمة عامة تشمل اليهود وغيرهم. ثم يبين فوائد المحبة فيقول:[33]"اَلْبُغْضَةُ تُهَيِّجُ خُصُومَاتٍ، وَالْمَحَبَّةُ تَسْتُرُ كُلَّ الذُّنُوبِ".

ويربط العهد القديم بين المحبة لجميع الناس والحكمة؛ فيربط بين محبة الله للبشر وحكمته راسما القدوة في ذلك للبشر؛ فيقول:[34]"الْحِكْمَةَ مُهَنْدِسَةَ كُلِّ شَيْءٍ، هِيَ عَلَّمَتْنِي* فَإِنَّ فِيهَا الرُّوحَ الْفَهِمَ الْقُدُّوسَ، ..... الْمُحِبَّ لِلْخَيْرِ، .... الْمُحِبَّ لِلْبَشَرِ". ويقول:[35]"إِنَّ رُوحَ الْحِكْمَةِ مُحِبٌّ لِلإِنْسَانِ". وكل من كلمة "البشر" وكلمة "الإنسان" تشمل المؤمن وغير المؤمن.

ويرسم العهد القديم القدوة بالرب تعالى في محبة مخالف الملة، معللا لمحبة الرب له؛ فيقول:[36]"لأَنَّكَ تُحِبُّ جَمِيعَ الأَكْوَانِ، وَلاَ تَمْقُتُ شَيْئاً مِمَّا صَنَعْتَ؛ فَإِنَّكَ لَوْ أَبْغَضْتَ شَيْئاً لَمْ تُكَوِّنْهُ * وَكَيْفَ يَبْقَى شَيْءٌ لَمْ تُرِدْهُ؟ أَمْ كَيْفَ يُحْفَظُ مَا لَسْتَ أَنْتَ دَاعِياً لَهُ؟ * أَيُّهَا الرَّبُّ الْمُحِبُّ لِلنُّفُوسِ".

ويأمر العهد القديم المؤمنين بمحبة مخالف الملة، معللا أمره لهم بأمرين: أولا: الاقتداء بالرب. ثانيا: اتباع القاعدة

الذهبية للتعايش (ما لا تحب لنفسك لا تصنعه لغيرك)[37]؛ فيقول:[38]"الرَّبَّ إِلهَكُمْ هُوَ إِلهُ الآلِهَةِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ .....الْمُحِبُّ الْغَرِيبَ لِيُعْطِيَهُ طَعَامًا وَلِبَاسًا * فَأَحِبُّوا الْغَرِيبَ لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ". وغربة بني إسرائيل في مصر – كما قلنا– كان البعد الديني حاضرا فيها بقوة وهو الأهم فيما يتعلق بموضوع دراستنا.

وفي الاتجاه المقابل نجد نصوصا كثيرة في العهد القديم تناقض عمليا محبة مخالف الملة؛ فيكال له بيكل غير ذلك الذي يكال به لليهودي، ومن ذلك قوله: "لا تقرض أخاك – أي اليهودي– بفائدة...بل تقرض الغريب بالفائدة وأما أخوك فلا تقرضه بالفائدة"[39]. وتفصيل الكلام في ذلك يحتاج إلى دراسة مستقلة عن العدل.

وفي مستخلص الدراسة لنا وقفة حول هذا التناقض وهذه الازدواجية الأخلاقية.

المبحث الثالث

العهد الجديد والمحبة لمخالف الملة

لم يمكننا الوقوف على مفهوم محدد للحب في العهد الجديد انطلاقا من لغته الأصلية (الآرامية) وهي لغة لم يتبق منها إلا القليل، وعوضا عن ذلك كانت نصوص العهد الجديد واضحة الدلالة على مفهوم الحب في المسيحية.

فالمحبة في مفهوم النصوص المسيحية المقدسة هي سلوك عملي أولا وأخيرا؛ يقول العهد الجديد:[40]"يَا أَوْلاَدِي، لاَ نُحِبَّ بِالْكَلاَمِ وَلاَ بِاللِّسَانِ، بَلْ بِالْعَمَلِ وَالْحَقِّ!".

وهذا السلوك العملي هو التضحية والبذل والعطاء دون انتظار للأخذ؛ يقول العهد الجديد:[41]"هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ". ويقول:[42]"إِنْ كَانَ اللهُ قَدْ أَحَبَّنَا هكَذَا، يَنْبَغِي لَنَا أَيْضًا أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا". ويقول:[43]"بِهذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لأَجْلِ الإِخْوَةِ".

فالمحبة في المسيحية بين البشر تسير على نمط حب الله للبشر كما عبر عنه العهد الجديد.

ويقسم العهد الجديد المحبة إلى قسمين متلازمين: محبة الله، ومحبة الناس جميعا بصرف النظر عن دينهم؛ فيقول العهد الجديد:[44]"إِنْ قَالَ أَحَدٌ: «إِنِّي أُحِبُّ اللهَ» وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ. لأَنَّ مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ الَّذِي لَمْ يُبْصِرْهُ؟ وَلَنَا هذِهِ الْوَصِيَّةُ مِنْهُ: أَنَّ مَنْ يُحِبُّ اللهَ يُحِبُّ أَخَاهُ أَيْضًا". والسياق في رأيي يدل على أن المقصود بالإخوة إنما هو الإخوة الإنسانية لا الدينية وذلك أن سبب المحبة المذكور – وهو الرؤية– متحقق في المسيحي وغير المسيحي[45]. ويرى العهد الجديد أن القلب الذي يسكنه البغض لإنسان لا يسكنه الله؛ والقلب الذي تسكنه المحبة لجميع الخلق يسكنه الله لأن الله محبة؛ فيقول:[46]"اَللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ، يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ". ويقول:[47]"لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ. وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ".

ويرسم العهد الجديد القدوة لمحبة الناس جميعا بصرف النظر عن دينهم ويأمر بها؛ فيقول العهد الجديد:[48]"لأَنَّ الْمَسِيحَ، إِذْ كُنَّا بَعْدُ ضُعَفَاءَ، مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لأَجْلِ الْفُجَّارِ* فَإِنَّهُ بِالْجَهْدِ يَمُوتُ أَحَدٌ لأَجْلِ بَارّ. رُبَّمَا لأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضًا أَنْ يَمُوتَ* وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا". ويقول:[49]"أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. .... لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ".

ويعلي العهد الجديد من شأن المحبة؛ فيجعلها غاية الوصية؛ فيقول:[50]"غَايَةُ الْوَصِيَّةِ فَهِيَ الْمَحَبَّةُ مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ".

ويجعل من محبة الناس جميعا– بصرف النظر عن انتماءاتهم الدينية– الوصية الثانية بعد محبة الله تعالى، بل يصرح العهد الجديد بأن الشريعة تدور كلها حول هاتين الوصيتين؛ ويحكي لنا العهد الجديد في ذلك حوارا بين المسيح . عليه السلام ـ وأحد التلاميذ فيقول:[51]"يَا

مُعَلِّمُ، أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ الْعُظْمَى فِي النَّامُوسِ؟. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ". ويقدم العهد الجديد مفهوما جديدا على عصره للقريب الواجبة محبته كالنفس فيجعل العهد الجديد من القرابة مسألة ممارسة أخلاقية عملية واجبة تجاه كل إنسان نقابله في طريقنا وإن كان مخالفا لنا في الدين والعرق ...الخ من وجوه الاختلاف[52]؛ فيروي عن المسيح ـ عليه السلام ـ ردا على أحد علماء الشريعة اليهودية "قَامَ يُجَرِّبُهُ قَائِلاً: يَا مُعَلِّمُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟. فَقَالَ لَهُ: مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي النَّامُوسِ. كَيْفَ تَقْرَأُ؟ فَأَجَابَ وَقَالَ: تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ. فَقَالَ لَهُ: بِالصَّوَابِ أَجَبْتَ. اِفْعَلْ هذَا فَتَحْيَا. وَأَمَّا هُوَ فَإِذْ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّرَ نَفْسَهُ، قَالَ لِيَسُوعَ: وَمَنْ هُوَ قَرِيبِي؟ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: إِنْسَانٌ كَانَ نَازِلاً مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَرِيحَا، فَوَقَعَ بَيْنَ لُصُوصٍ، فَعَرَّوْهُ وَجَرَّحُوهُ، وَمَضَوْا وَتَرَكُوهُ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيْتٍ. فَعَرَضَ أَنَّ كَاهِنًا نَزَلَ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، فَرَآهُ وَجَازَ مُقَابِلَهُ. وَكَذلِكَ لاَوِيٌّ أَيْضًا، إِذْ صَارَ عِنْدَ الْمَكَانِ جَاءَ وَنَظَرَ وَجَازَ مُقَابِلَهُ. وَلكِنَّ سَامِرِيًّا مُسَافِرًا جَاءَ إِلَيْهِ، وَلَمَّا رَآهُ تَحَنَّنَ، فَتَقَدَّمَ وَضَمَدَ جِرَاحَاتِهِ، وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتًا وَخَمْرًا، وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ، وَأَتَى بِهِ إِلَى فُنْدُق وَاعْتَنَى بِهِ. وَفِي الْغَدِ لَمَّا مَضَى أَخْرَجَ دِينَارَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا لِصَاحِبِ الْفُنْدُقِ، وَقَالَ لَهُ: اعْتَنِ بِهِ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ أَكْثَرَ فَعِنْدَ رُجُوعِي أُوفِيكَ. فَأَيَّ هؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ تَرَى صَارَ قَرِيبًا لِلَّذِي وَقَعَ بَيْنَ اللُّصُوصِ؟ فَقَالَ: الَّذِي صَنَعَ مَعَهُ الرَّحْمَةَ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: اذْهَبْ أَنْتَ أَيْضًا وَاصْنَعْ هكَذَا"[53].

وبدون محبة الناس لا يكتمل الناموس؛ يقول العهد الجديد:[54]"مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ النَّامُوسَ".

بل إن العهد الجديد ليرى المحبة أعظم من الإيمان وأعظم من الرجاء فيقول:[55]"الإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ، هذِهِ الثَّلاَثَةُ وَلكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ".

ويراها أفضل من جميع القرابين؛ فيقول:[56]"وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ، هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ".

فهي جامعة الفضائل لا يحتاج المؤمن بعدها إلى وصايا أخري، فالمحبة تكفيه وتغنيه، يقول العهد الجديد:[57]"الْبَسُوا الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ". ويعدد العهد الجديد خصائل المحبة فيقول: [58]"الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ، وَلاَ تَنْتَفِخُ، وَلاَ تُقَبِّحُ، وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلاَ تَحْتَدُّ، وَلاَ تَظُنُّ السُّوَءَ، وَلاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ، وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَدًا". "الْمَحَبَّةَ تَبْنِي"[59].

وهي روح كل عمل فاضل وبدونها لا قيمة لفضيلة أيا ما كانت؛ يقول بولس:[60]"إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَقَدْ صِرْتُ نُحَاسًا يَطِنُّ أَوْ صَنْجًا يَرِنُّ. وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ، وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ، وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَسْتُ شَيْئًا. وَإِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي، وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلاَ أَنْتَفِعُ شَيْئًا".

وبناء على كل ذلك كانت وصية العهد الجديد: "لِتَصِرْ كُلُّ أُمُورِكُمْ فِي مَحَبَّةٍ"[61].

وقبل كل شيء لا ينس العهد الجديد أن يُفسح للمحبة مكانا؛ فنفر من الكراهية حتى اعتبرها كالقتل؛ فهي في منظوره قتل قلبي ومقدمة للقتل الواقعي؛ ومن هنا فهو لا يبعد عنه كثيرا في الإثم؛ يقول العهد الجديد في ذلك معرضًا بقتل قايين لأخيه:[62]"كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ قَاتِلِ نَفْسٍ لَيْسَ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ"[63]. وأرى أن التعريض بقايين وهابيل يشير إلى أن المقصود بالأخوة هنا الأخوة الإنسانية قبل كل أخوة أخرى.

المبحث الرابع

نصوص الإسلام والمحبة لمخالف الملة

الحب ومرادفاته بيِّن المعنى واضح الدلالة في لغة الإسلام (العربية) ولم تتجاوز الخلافات بين العلماء في تحديد مفهوم الحب ومرادفاته ظلال المعاني، ولم تأت النصوص الإسلامية المقدسة بمعاني اصطلاحية للحب ومرادفاته مخالفة للمعانى اللغوية.

فبالنظر في معاني مادة (ح ب ب) في لغة الوحي الإسلامي – العربية- نجد ما يلي: حبب الأسنان: صفاؤها ونقاؤها وتناسقها؛ وأحبَّ البعيرُ: استناخ، وهو ما يشير إلى معانى: (الهدوء، والراحة، والخضوع)؛ والإحباب: البرء من كل مرض؛ والحَب: الزرع، وأحب الزرع: صار ذا حب، وهو ما يشير إلى معنى (النماء والإثمار)؛ والحب: الخشبات الأربع التي توضع عليها الجرة، وهو ما يشير إلى معنى (المساندة)؛ وحبَّةُ القلب: مُهْجَتُه وسُويداؤه، وحَبَّةُ العَيْنِ: مُقْلَتُها[64]؛ وهو ما يشير إلى معنى (الاهتمام) أي أن مادة (ح ب ب) في العربية تشير إلى معاني: (الصفاء، والنقاء، والتناسق، والهدوء، والراحة، والخضوع، والشفاء، والنماء، والإثمار، والمساندة، والاهتمام)؛ **وهو ما يمكن التعبير عنه بقولنا: الحب هو: رقة تتخلل القلب[65] تنحو بالمحب نحو إسعاد المحبوب[66] والتعايش معه[67]. وكثيرا ما تستخدم كلمة (المودة) في التعبير عن المحبة** ويرى ابن القيم أن: "الود ...هو خالص الحب وألطفه وأرقه"[68]، بينما يرى أبو هلال العسكري "أنّ الحبّ يكون فيما يوجبه ميل الطباع والحكمة جميعًا ... والودّ من جهة ميل الطباع فقط"[69]. ويرى محمد راتب النابلسي: أن "الحب ما استقر في القلب، والود ما ظهر على السلوك"[70]. ويقول ابن أبي جمرة: "وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب المحبة كالتزاور والتهادي"[71]. أما معاجم العربية فلم تفرق بين الحب والود[72]. **وما نراه أن الحب أو المحبة والود أو المودة كلمات متقاربة في معانيها ولا يعنينا في بحثنا هنا حسم الخلاف بين معانيها؛ أما (التودد والتحبب) فهما فعلان يتحكم فيهما الإنسان، وقد ينبثقان عن شعور بالحب أو يؤديان إليه، وقد ينبثقان عن قناعة عقلية.** ولن يتعلق بحثي بالتحبب والتودد، وقد أفردت لذلك بحوثا أخرى[73].

وتجيز النصوص الإسلامية محبة الكافر المسالم لقرابة أو لفضل؛ فيقول تعالى لنبيه ﷺ:[74]**"إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ"**. فأثبت الله تعالى لنبيه ﷺ محبة عمه الكافر المسالم المعاون ولم يعتب المولى عز وجل عليه هذه المحبة فدل ذلك على عدم مخالفتها لكمال الإيمان. قال القرطبي:[75]"جل المفسرين على أنها نزلت في شأن أبي طالب عم النبي ﷺ". وقال البغوي:[76]"إنك لا تهدي من أحببت"، أي: أحببت هدايته؛ وقيل: أحببته لقرابته". ولا فرق بين الأمرين؛ لأن اختصاصه بمحبة هدايته لا يكون إلا من محبته. وقال الطبري:[77]"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنّكَ يا محمد لا تَهْدِي مَنْ أحْبَبْتَ هدايته, ... ولو قيل: معناه: إنك لا تهدي من أحببته لقرابته منك, ولكن الله يهدي من

يشاء, كان مذهبا". وقال العثيمين:[78]"وهذا عام لأبي طالب وغيره، ويجوز أن يحبه محبة قرابة، ولا ينافي هذا المحبة الشرعية".

ومما يدل كذلك على جواز محبة الكافر لا لكفره ولكن لشيء غير ذلك أن الإسلام أباح زواج الكتابية؛ فقال تعالى:[79]"وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ". ثم جعل المودة بين الزوجين مطلبا طبعيا؛ فقال تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"[80]. ومعنى ذلك أن الإسلام يجيز المودة والمحبة بين المسلم وغيره.

ويدل على ذلك كذلك قوله تعالى: "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"[81]. فقوله: "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ" يفيد الجواز. وكلمة "البر" الواردة هنا في وصف العلاقة الجائزة بين المسلمين والمسالمين من غير المسلمين "أَنْ تَبَرُّوهُمْ" هي الكلمة المستخدمة في النصوص الإسلامية للوصف الواجب تحققه في أسمى علاقة بين إنسان وآخر وهي علاقة الإنسان بوالدية؛ حتى كان "بر الوالدين" هو أحب الأعمال إلى الله بعد الصلاة على وقتها؛ فعن عبد الله بن مسعود قال:[82]"سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: "أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ :الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ". ومن ثمة فـ "البر" أشمل كلمة لكل معاني العطاء المادي والمعنوي إنها تعني الحب وزيادة.

وشرط هذه المحبة ألا تكون أشد من محبة الله ورسوله وجهاد في سبيله؛ يقول تعالى: "قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ"[83]. فالله عز وجل هنا "لم ينههم عن حب آبائهم المشركين، بل حذرهم أن يكونوا أحب إليهم من الله ورسوله، وجهاد في سبيله; لأن هذا لا يجتمع مع الإيمان الصحيح"[84]. أ.هـ. ويدل على ذلك كذلك أننا لم ننه عن محبة أموالنا وأعمالنا ومساكننا المحبة الطبعية، وإنما كان النهي عن كونهم أحب إلينا من الله ورسوله وجهاد في سبيله، والمعطوف

والمعطوف عليه لهما نفس الحكم. ومن ثمة فعندما دعت الدواعي للاختيار كان اختيار الصحابة للأحب[85].

وهذه المحبة الجائزة يعسر التحرُّز منها مع من يخالطهم المسلم بالقدر الواجب والكيف الواجب للحق الواجب لهم كالوالدين الكافرين[86] والزوجة الكتابية؛ كما يعسر التحرز منها مع الكافر صاحب الفضل؛ فالإنسان مفطور على حب من يُحسن إليه؛ ومن هنا كانت الرخصة في محبتهم؛ فالأمر ببغضهم تكليف بما لا يطاق!. ولو حُرِّم الشيء وأبيحت الوسائل الموصلة إليه لوقع الناس في حرج عظيم![87].

ولم ينه الإسلام عن محبة الكافر لفضل أو لقرابة حتى وإن ناصب الإسلام والمسلمين العداء؛ فالمحبة التي هي من أفعال القلوب لا يدخلها أمر ولا نهي[88]؛ فالحب والكراهية شعوران لا يملك الإنسان دفع أحدهما بنهي أو جلبه بأمر، وإنما أشار بقوله تعالى: "لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ"[89] إلى أن وجود هذه المحبة علامة على عدم وجود الإيمان؛ فالحب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب[90]؛ فالود عند أصحاب الفطر السوية لا يتحقق لمن يكثر منه الأذى[91] لنا أو لمن أحببناه حتى توحدنا معه[92]؛ يقول النبي ﷺ :[93]"مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى". ومن ثمة كان تطبيق الصحابة رضي الله عنهم لهذه القاعدة الجبلية الطبعية؛ يقول ابن كثير:[94]"قيل في قوله تعالى: {وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ} نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر {أَوْ أَبْنَاءهُمْ} في الصديق: هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن {أَوْ إِخْوَانَهُمْ} في مصعب بن عمير: قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ {أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} في عمر: قتل قريبًا له يومئذ أيضًا, وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث: قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ". وأما سؤال عبد الله بن عبد الله بن أبيّ لأبيه أن يكفن في قميص النبي وهو رأس المنافقين ومن أنزلت فيه سورة المنافقين[95]، فلم يكن من باب مودة الكافر المحاد؛ يشهد لذلك أنه سأل النبي ﷺ الإذن في قتل أباه من قبل ولكن النبي ﷺ آثر الصبر عليه[96]؛ فلم يبق لعبد الله بن عبد الله ابن أُبي إلا القيام بحق الأبوة[97]. ومن هنا كان رسم القدوة بإبراهيم ـ عليه السلام ـ ومن معه في عداوتهم وبغضهم لمن حارب الله ورسوله حتى ألقى نبيه ـ عليه السلام ـ في النار؛ يقول

تعالى:[98]"قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ".

وحب الكافر المسالم (الجائز) لفضل أو لقرابة لا يمنع من بغض كفره (الواجب) والعكس صحيح؛ فالشيء قد يكون محبوبًا من وجه مبغوضًا من وجه آخر، كالدواء الذي نكره مذاقه، ونحب علاجه، وإنَّما الممتنع عقلا أن يتعلق الحب والبغض لشيء واحد من جهة واحدة. فلا إشكال في أن يجتمع في آن واحد في قلب العبد بغض ديني ومحبة جبلية، لاختلاف الباعث في كل منهما، **وهذا الحب وهذه الكراهية لا يكونان تامين، فالحب التام والكراهية التامة يكونان للشيء من كل وجه، ومن ثمة لا يتغيران بتغير العقائد والأعمال، وهذا النوع التام من الحب والكراهية لا تعرفه النصوص الإسلامية، وما تعرفه هو المحبة والكراهية المحددتان بسبب إذا زال زالتا. ومن هنا كان تفريق النصوص الإسلامية بين كراهية الفعل وكراهية صاحبه**[99]؛ يقول تعالى على لسان لوط ـ عليه السلام ـ لقومه:[100]"قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ". فصرح ـ عليه السلام ـ بكرهه لعملهم وكفرهم ولم يصرح بكرهه لهم كرها تاما مطلقا؛ **ومن ثمة نفهم من قوله تعالى: "إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ"**[101]. أن نفي الحب هنا ليس مطلقا؛ فهو كقوله تعالى: "إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ"[102]. ولم يمنعنا الشرع من محبة المسرفين لسبب غير إسرافهم، والمعنى أنه لا يحب إسرافهم وليس المقصود عدم محبتهم من كل وجه. وكان إسرافهم في إعطاء الصدقات وليس في منعها، فسياق الآية: "وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ". قال ابن كثير:[103]"قيل معناه: لا تسرفوا في الإعطاء فتعطوا فوق المعروف".

فإن كان حب المسلم للكافر لكفره وللفاسق لفسقه وللمبتدع لبدعته، فحقيقة المحبة هنا هي للكفر والفسق والبدعة، ومن هنا يتساوى محب الكفر مع الكافر، ومحب الفسق مع الفاسق؛ فالأعمال بالنيات. وهذا هو معنى الحب في الله والبغض في الله، كما في الحديث: "إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ: أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ"[104]. أي أن تحب في كل إنسان الإيمان بالله والطاعة لله، وتكره فيه الكفر بالله والعصيان لله. **وفي ضوء ذلك نفهم معنى قوله ﷺ: "المرء مع من أحب"**[105]. أي يُحشر المرء مع من أحبه لإيمانه وطاعته، أو أحبه لكفره وعصيانه، أما المحبة الجبلية لقرابة أو لفضل فمسكوت عنها هنا وقد بينتها نصوص

الباب. وسياق الحديث دال على ذلك: ففيه أن أعرابيا نادى رسول الله ﷺ قائلا: "يا رسول الله، المرء يحب القوم ولما يلحق بهم. قال: المرء مع من أحب". فقوله "ولما يلحق بهم" يبين أن السؤال ومن ثمة جواب الرسول ﷺ خاص بمن نحبه لا لعلاقته البشرية بنا (المسكوت عنها في النص) وإنما لعلاقته الخاصة بالله. **وفي ضوء ما سبق نفهم كذلك معنى قوله ﷺ:**[106]**"المرء على دين خليله**[107]**؛ فلينظر أحدكم من يخالل"**. أي على طاعة رفيقه المحبوب، وعادته، وشأنه، وحاله[108]. والمعنى: أن في اختيار الخليل اختيار لدينه. وهذا وصف للتحذير من التأثر الذي يقع بين الأخلاء، وليس نهيا عاما مطلقا عن مخالة الكفار، ومن ثمة كانت دعوة المسلم إلى النظر فيمن يخالل: فإن كان تأثير الكافر على المسلم أكثر كانت الحرمة، وإن كان العكس كان الحل. **فمخالة الكفار– وهي إما ناتجة عن محبتهم أو مؤدية إلى محبتهم– تأخذ الأحكام الفقهية الخمسة في رأيي**. وقد أباح الإسلام الزواج من الكتابية، وأباح الإنجاب منها، ولم يمنع الإسلام الأم المسيحية من تربية أبنائها المسلمين! فأي محبة ومرافقة ونصح وصدق أعظم مما يكون بين الأم وأبنائها بَلْهَ الزوج وزوجته؟!.

إلا أنه لو لم يُحب المسلمُ الكافرَ المسالم – القريب وصاحب الفضل– دون بغض له، وأعطاه حقه من المصاحبة الشرعية بالمعروف؛ فلا تثريب عليه. فمحبة هؤلاء جائزة، وليست بالواجبة ولا بالمستحبة، أما بغضهم ففيه نظر؛ وجواز محبتهم لا يعني جواز بغضهم؛ يقول النبي ـ عليه السلام ـ :[109]"إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ. فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ". ولا شك أن القبول في الأرض من الناس لشخص – بصرف النظر عن دينه ودينهم– لا يتحقق لمبغض لهم. ويقول النبي ـ عليه السلام ـ: وقد سئل "أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ, قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ, فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟. قَالَ: هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ, لَا إِثْمَ فِيهِ, وَلَا بَغْيَ, وَلَا غِلَّ, وَلَا حَسَدَ"[110].

وإذا كانت الموالاة – المأمور بها– بين المؤمنين لا تنتفي بعداوة بعضهم بعضا لشيء غير الدين – بلا خلاف بين العلماء[111]**– فكذلك براءة المؤمنين من الكافرين – المأمور بها– لا تنتفي بمحبتهم – بالشرطين سابقي الذكر**[112]**– لسبب غير الدين وهو ما لم يتفق عليه العلماء**[113].

والنصوص الإسلامية تفرق بين "موالاة الكفار" المحرمة و"المحبة القلبية الطبعية للمسالم منهم"، وتبين أن الموالاة تعني النصرة لا المحبة[114]؛ يقول تعالى:[115]"يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ". فالشياطين مع من يوالونهم ينصرونهم رغم أنهم يبغضونهم. ويصف القرآن الكريم اليهود والنصارى مرة بأن "بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ"[116]، ومرة بأن "بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى"[117]؛ فموالات بعضهم لبعض مصحوبة ببغضهم بعضهم بعضا؛ ومن ثمة يتعين أن المقصود بالموالاة هو "النصرة" لا "المحبة". وهو ما يصرح به القرطبي وغيره في تفسير قوله تعالى: "اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا"[118]. وقوله تعالى: "ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ"[119]. ثم إن القول بأن الموالاة تعني المحبة يُحدث تعارضا بين قوله: "وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ" والواقع المشاهد من حب الكفار بعضهم بعضا.

وتجعل النصوص الإسلامية لموالاة الكفار أحكاما عدة:

فهي كفر لمن تولاهم لكفرهم؛ يقول تعالى:[120]"وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ". **وهي كبيرة لمن تولاهم لغير كفرهم في حربهم على المؤمنين**؛ يقول تعالى:[121]"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"[122]. فوصف تعالى من تولاهم هنا بـ"الظلم" لا بأنه "منهم"، لأن ولايتهم لم تكن لكفرهم وإنما كانت لشيء آخر. وهو ما تؤكده قصة حاطب بن أبي بلتعة عندما أفشى سر رسول الله ـ عليه السلام ـ لقريش[123].

وهي مباحة من باب التعاون على العدو المشترك؛ وهو ما يبينه دستور دولة المدينة الذي ينص على حق التناصح والتناصر بين المسلمين واليهود[124].

وهي واجبة لمناصرة الضعيف بدرجات مختلفة من الوجوب بحسب القدرة، وبحسب الحاجة؛ فالمظالم متفاوتة؛ يقول النبي ـ عليه السلام ـ :[125]"انصر أخاك ظالما أو مظلوما قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما قال تأخذ فوق يديه". . والأخوة هنا لم تقيد ومن ثمة تبقى بمعناها العام المطلق من كل قيد[126]. ويقول النبي ـ عليه السلام ـ : "شَهِدْتُ حِلْفًا

فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ بَيْنَ هَاشِمٍ وَزُهْرَةَ وَتَيْمٍ، وَأَنَا فِيهِمْ[127]، وَلَوْ دُعِيتُ بِهِ[128]لأَجَبْتُ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخِيسُ بِهِ[129] وَلِي حُمْرُ النَّعَمِ[130]، وَكَانَ تَحَالُفُهُمْ عَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ لا يَدَعُوا لأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ فَضْلا إلا أَخَذُوهُ"[131].

وفي ضوء ذلك نفهم معنى قوله تعالى:[132]**"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ** ". فالنهي عن ولاية هؤلاء والتودد إليهم ليست لمجرد كفرهم بل لإيذائهم المسلمين حتى أخرجوهم من ديارهم لا لشيء إلا لإيمانهم بالله ربهم، كما تنص الآية الكريمة، أما المودة الطبعية لا الدينية، بالقدر الطبعي، للكافر غير المعادي، فالأمر فيها كما أبنا. **وكذلك قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ..... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"**[133]. فالسياق يدل على أن اليهود والنصارى المقصودين بالحديث هنا هم المعادون للمسلمين الساخرون من دينهم المتخذونه هزوا ولعبا؛ حتى خشيهم الذين في قلوبهم مرض فسارعوا فيهم؛ فالنهي عن ولاية هؤلاء ليست لمجرد كفرهم بل لإيذائهم المسلمين[134].

وأما قوله تعالى: "وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً". فلا يشرع لكراهية الكفار عامة واتهامهم جميعا بالعداوة، فقد وردت الآيتان في معرض الحديث عن الاستعداد للقتال، فهما تتحدثان عمن يقاتلنا منهم لا عنهم جميعا؛ ومن ثمة أعطت الآيتان أحكاما خاصة للصلاة عند مواجهة هؤلاء، ولو كانت العداوة من الكفار عامة لكان الحكم بـ (صلاة القصر وصلاة الخوف) عاما في أي محل كثر به الكفار؛ يقول تعالى:[135]"وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا * وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ

وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا". ومن ثمة يمكننا أن نقول إن (أل) في قوله **"إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا"** للعهد

لا للجنس.

وأما قوله تعالى: **"كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ"**[136]. فليس عاما في كل كافر، والسياق يدل على أن المقصود منهم بذلك هم المعادون فقط؛ فالآيات التالية لهذه الآية الكريمة تصف هؤلاء بأنهم: "معتدون"، وبأنهم "نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ" وبأنهم: "هَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ" وبأنهم "هم المبادرون بالعدوان"؛ يقول تعالى:[137]"لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ". ويقول تعالى:[138]"أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ".

وأما قوله تعالى: "قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ"[139]. فليس نهيا عن محبة الكفار؛ فقوله: **(وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ)**: يدل على أن المقصود بالحديث هنا هم المنافقون المعادون لا الكفار؛ فالكفار لا يقولون: (آمنا) إذا لقونا، وإنما المنافقون هم من يفعلون ذلك.

وأما قوله تعالى: "مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ"[140]. فالخير الذي لا يريد أهل الكتاب والمشركون تنزله علينا تفسره تكملة الآية الكريمة: "وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ". "قال علي بن أبي طالب ﷺ: (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ) أي بنبوته، خص بها محمدا ﷺ. وقال قوم: الرحمة: القرآن. وقيل: الرحمة في هذه الآية عامة لجميع أنواعها التي قد منحها الله عباده قديما وحديثا"[141]. فمسألة كراهية أهل الكتاب والمشركين لكل خير يأتي المسلمين مجرد رأي لمجهولين

من آراء ثلاثة مذكورة في تفسير الآية. وقال الطبري:[142]"(ما يَوَدّ) ما يحبّ, أي ليس يحبّ كثير من أهل الكتاب.....أن ينزل عليكم .... تمنى المشركون وكفرة أهل الكتاب أن لا ينزل الله عليهم الفرقان وما أوحاه إلى محمد ﷺ.... حسدا وبغيا منهم على المؤمنين..... (وَاللّهُ يَخْتَصّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ): والله يختصّ من يشاء بنبوّته". فالطبري يرى أن الخير الذي لم يود أهل الكتاب تنزله علينا هو الوحي وهو ما عاود التأكيد عليه جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي في تفسيرهما[143] ويضيف الطبري فائدة بالترفع عن التعميم في قوله "ليس يحبّ كثير من أهل الكتاب". وهو ما يتوافق مع المشهود كحب المرأة غير المسلمة لأولادها المسلمين.

وانطلاقا من كل ما سبق كانت دعوة الإمام علي لمحبة الناس أجمعين: مؤمنهم وكافرهم، حين يقول:[144]" وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم...فإنهم صنفان: أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق".

الخاتمة

خلاصة واستخلاص

الخلاصة:

بعد هذه القراءة في الكتب المقدسة لدى أصحابها: اليهودية والمسيحية والإسلامية، نخلص بالآتي:

التلمود:

لم يمكننا الوقوف على مفهوم محدد للحب في التلمود انطلاقا من لغته (العبرية).

رغم أن لفظة الحب مستخدمة في التلمود إلا أني لم أعثر لها فيه على مفهوم محدد وتركت المسألة لاجتهادات الحاخامات.

لعل من أهم وأشمل تعريفات الحاخامات للحب تعريف الحاخام ستينسالتز.

لم أعثر في التلمود سوى على نص واحد يأمر بمحبة الخلق أجمعين بصرف النظر عن انتمائهم الديني .

وفي الاتجاه المقابل نجد نصوصا كثيرة في التلمود تناقض عمليا محبة مخالف الملة.

العهد القديم:

لم يمكننا الوقوف على مفهوم محدد للحب في العهد القديم انطلاقا من لغته (العبرية).

رغم أن لفظة الحب مستخدمة في العهد القديم إلا أني لم أعثر لها فيه على مفهوم محدد.

يفسح العهد القديم مكانا لمحبة الناس جميعا بصرف النظر عن دينهم: فينفر من الحقد والحسد والكراهية؛ وينهى عن كراهية المخالف في المعتقد.

يحث العهد القديم على محبة المخالف في المعتقد بل ويُغري بها.

يرسم العهد القديم القدوة بالرب تعالى في محبة مخالف الملة، معللا لها، ويأمر المؤمنين بها، معللا أمره لهم.

وفي الاتجاه المقابل نجد نصوصا كثيرة في العهد القديم تناقض عمليا محبة مخالف الملة.

العهد الجديد:

لم يمكننا الوقوف على مفهوم محدد للحب في العهد الجديد انطلاقا من لغته الأصلية (الآرامية)، وعوضا عن ذلك كانت نصوص العهد الجديد واضحة الدلالة على مفهوم الحب في المسيحية.

المحبة في مفهوم النصوص المسيحية المقدسة هي سلوك عملي أولا وأخيرا؛ وهذا السلوك العملي هو التضحية والبذل والعطاء دون انتظار للأخذ؛ فالمحبة في المسيحية بين البشر تسير على نمط حب الله للبشر كما عبر عنه العهد الجديد.

يقسم العهد الجديد المحبة إلى قسمين متلازمين: محبة الله ومحبة الناس. ومحبة الناس تتسع في العهد الجديد حتى للكافر، ويرسم العهد الجديد القدوة لها ويأمر بها.

يعلي العهد الجديد من شأن المحبة؛ فيجعلها غاية الوصية، ويجعل من محبة الناس جميعا بصرف النظر عن دينهم

الوصية الثانية بعد محبة الله تعالى، بل يصرح العهد الجديد بأن الشريعة تدور كلها حول هاتين الوصيتين وأنه بدون محبة الناس لا يكتمل الناموس، بل إن العهد الجديد ليرى المحبة أعظم من الإيمان وأعظم من الرجاء، ويراها أفضل من جميع القرابين؛ فهي جامعة الفضائل لا يحتاج المؤمن بعدها إلى وصايا أخري، فالمحبة تكفيه وتغنيه، وهي روح كل عمل فاضل وبدونها لا قيمة لفضيلة أيا ما كانت.

ويفسح العهد الجديد مكانا للمحبة؛ فينفر من الكراهية حتى اعتبرها كالقتل؛ فهي في منظوره قتل قلبي ومقدمة للقتل الواقعي؛ ومن هنا فهو لا يبعد عنه كثيرا في الإثم.

النصوص الإسلامية:

1. الحب ومرادفاته بيِّن المعنى واضح الدلالة في لغة الإسلام (العربية) ولم تتجاوز الخلافات بين العلماء في تحديد مفهوم الحب ومرادفاته ظلال المعاني، ولم تأت النصوص الإسلامية المقدسة بمعاني اصطلاحية للحب ومرادفاته مخالفة للمعانى اللغوية.

2. بالنظر في معاني مادة (ح ب ب) في لغة الوحي الإسلامي (العربية) يمكن التعبير عن الحب بقولنا: الحب هو: رقة تتخلل القلب تنحو بالمحب نحو إسعاد المحبوب والتعايش معه. وكثيرا ما تستخدم كلمة (المودة) في التعبير عن المحبة، وما نراه أن الحب أو المحبة والود أو المودة كلمات متقاربة في معانيها ولا يعنينا في بحثنا هنا حسم الخلاف بين معانيها؛ أما التودد والتحبب فهما فعلان، يتحكم فيهما الإنسان، وقد ينبثقان عن شعور بالحب، أو يؤديان إليه، وقد ينبثقان عن قناعة عقلية. ولا تعلق لبحثنا بهما.

3. تجيز النصوص الإسلامية محبة الكافر المسالم لقرابة أو لفضل، وشرط هذه المحبة ألا تكون أشد من محبة الله ورسوله؛ وذلك أن هذه المحبة الجائزة يعسر التحرُّز منها مع من يخالطهم المسلم بالقدر الواجب والكيف الواجب للحق الواجب لهم كالوالدين الكافرين والزوجة الكتابية؛ كما يعسر التحرز منها مع الكافر صاحب الفضل؛ فالإنسان مفطور على حب من يُحسن إليه؛ ومن هنا كانت الرخصة في محبتهم؛ فالأمر ببغضهم تكليف بما لا يطاق!. ولو حُرِّم الشيء وأبيحت الوسائل الموصلة إليه لوقع الناس في حرج عظيم!.

4- لم ينه الإسلام عن محبة الكافر لفضل أو لقرابة حتى وإن ناصب الإسلام والمسلمين العداء؛ فالمحبة التي هي من أفعال القلوب لا يدخلها أمر ولا نهي؛ فالحب والكراهية شعوران لا يملك الإنسان دفع أحدهما بنهي أو جلبه بأمر، وإنما أشار إلى أن وجود هذه المحبة علامة على عدم وجود الإيمان؛ فالحب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب؛ فالود عند أصحاب الفطر السوية لا يتحقق لمن يكثر منه الأذى لنا أو لمن أحببناه حتى توحدنا معه.

5-حب الكافر المسالم (الجائز) لفضل أو لقرابة لا يمنع من بغض كفره (الواجب) والعكس صحيح؛ فالشيء قد يكون محبوبًا من وجه مبغوضًا من وجه آخر، وهذا الحب وهذه الكراهية لا يكونان تامين، فالحب التام والكراهية التامة يكونان للشيء من كل وجه، ومن ثمة لا يتغيران بتغير العقائد والأعمال، وهذا النوع التام من الحب والكراهية لا تعرفه النصوص الإسلامية، وما تعرفه هو المحبة والكراهية المحددتان بسبب إذا زال زالتا.

6-إن كان حب المسلم للكافر لكفره وللفاسق لفسقه وللمبتدع لبدعته، فحقيقة المحبة هنا هي للكفر والفسق والبدعة، ومن هنا يتساوى محب الكفر مع الكافر، ومحب الفسق مع الفاسق؛ فالأعمال بالنيات.

7-لو لم يُحب المسلمُ الكافرَ المسالم – القريب وصاحب الفضل- دون بغض له، وأعطاه حقه من المصاحبة الشرعية بالمعروف؛ فلا تثريب عليه. فمحبة هؤلاء جائزة، وليست بالواجبة ولا بالمستحبة، أما بغضهم ففيه نظر؛ وجواز محبتهم لا يعني جواز بغضهم.

8-كما أن موالاة المؤمنين لا تنتفي بعداوتهم، فكذلك براءة المؤمنين من الكافرين لا تنتفي بمحبتهم لسبب غير كفرهم وفسقهم.

9-تفرق النصوص الإسلامية بين "موالاة الكفار" المحرمة، و"المحبة القلبية الطبعية للمسالم منهم"، وتبين أن الموالاة تعني النصرة لا المحبة.

10-تجعل النصوص الإسلامية لموالاة الكفار أحكاما تتدرج من الكفر وحتى الوجوب.

استخلاص:

من كل ما سبق يمكننا استخلاص ما يلي:

- إن الولاء للإخوة الإنسانية وما ينشأ عنه من أخلاق إنسانية رفيعة أمر ظاهر ومؤكَّد في الكتب المقدسة محل هذه الدراسة.

- حث التلمود مرة على محبة مخالف الملة، وحث مرات على ما يناقض تلك المحبة. حث العهد القديم والجديد على محبة مخالف الملة وفي نفس الوقت حث العهد القديم على أفعال تناقض هذه المحبة، وتقديس العهد الجديد للعهد القديم يناقض هذه المحبة؛ أما النصوص الإسلامية فأجازت محبة مخالف الملة ولم تحث عليها ولم تناقضها.

- إن التوقف أمام تلك النصوص المقدسة التي نجدها أحيانا تغري بالإساءة إلى الآخر في المعتقد محله دراسة عن العدل لا المحبة؛ ويقع على عاتق المتشبثين بهذه النصوص عبء توجيه ما أوردناه من نصوص تحض على المحبة لمخالف الملة.

- عندما حث العهد القديم على محبة مخالف الملة كثيرا ما وصفه بـ "الغريب". وعندما حث العهد الجديد على محبة مخالف الملة كثيرا ما وصفه بـ "القريب". وفي الإسلام كثيرا ما يوصف مخالف الملة بـ "الأخوة"، وهو ما يشير إلى وجود تطور إيجابي في وصف العلاقة مع صاحب الاعتقاد المخالف.

- إن المواقف الداعية لكراهية مخالف الملة لا تنطلق من عامة النصوص المقدسة في أي من الديانات الثلاث موضع الدراسة؛ وإنما تنطلق من نظرة انتقائية للنصوص وتفسيراتها. ولقد ساهمت طبيعة النص اليهودي والمسيحي المقدس في إزكاء هذه النظرة وما تولد عنها من ازدواجية أخلاقية؛ فالنصوص المقدسة اليهودية والمسيحية ما هي إلا كتابات من وجهة نظر: حكماء وبسطاء، علماء وجهال، أمميين ويهود، وُدَعاء وعنف، صابرين ومتمردين، أغنياء وفقراء، فساق وأتقياء....الخ، فالكتاب المقدس لم يتكلم إلا على لسان هؤلاء[145]؛ ومن ثمة كانت ازدواجية الأخلاق الكتابية، ومن ثمة بدا الأمر في كثير من الأحيان وكأننا أمام وحيين يهوديين متقابلين، ووحيين مسيحيين متقابلين لإلهين مختلفين، أحدهما إله للمثالية الأخلاقية والآخر للعدوانية!:

فالتلمود لم أعثر فيه سوى على نص واحد يحث على محبة مخالف الملة بين ركام من النصوص العدائية!.

والعهد القديم الذي حث وألح في حثه على محبة مخالف الملة مليء بالنصوص العدائية التي تناقض هذه المحبة!

والعهد الجديد الذي قدس محبة مخالف الملة قدس في ذات الوقت العهد القديم بنصوصه العدائية![146].

ورغم أنه لا يوجد **نص إسلامي** عن الله تعالى أو عن رسوله ﷺ صحيح صريح يضاد محبة مخالف الملة إلا أن هناك تيارات ليست بالضعيفة في الفكر الإسلامي ترفض هذه المحبة بدرجة أو بأخرى.

ولعله من أهم الأخطاء العلمية التي وقع فيها أصحاب هذه التيارات ما يلي:

- الأخذ بظاهر النصوص، وإغفال القواعد الأصولية في الفهم.
- عدم التفريق في الحكم بين الفعل وفاعله.
- الخلط بين جواز الشيء وجواز نقيضه.
- الخلط بين ما يدخله الأمر والنهي، وما يعتبر وجوده علامة على وجود منهي عنه.
- الانطلاق من مسلمات غير مسلم بها عند غيرهم من العلماء.
- التمسك بخيارات لغوية دون شفيع، وفي اللغة متسع لغيرها.
- تعميم الأحكام في قضايا الأعيان.
- التعميم بلا مسوغ.
- القياس الفاسد.

- الفهم المتعارض مع سياق النص.
- الفهم المتعارض مع أسباب النزول.
- الخلط بين العام والخاص.
- النظرة غير الشاملة للنصوص.
- التخير من مواقف السلف وأقوالهم ما يشفع لآرائهم والسكوت عما لا يشفع؛ ثم زعم المتابعة لفهم السلف، والاحتجاج لتقليدهم بأن القدماء أقدر على فهم مراد الله ومراد رسوله ﷺ ونسوا أو تناسوا الإطار السياسي والاجتماعي الذي صدرت فيه فتاوى القدماء، وبفرض تشابه الظروف، بل وتماثل الأحوال، فلا تلازم بين الفضل وعظم الشأن وبين جعل الواحد من السلف الكرام مشرِّعا كالرسول ﷺ وقد ختمت النبوة، وختمت العصمة؛ وما ورد من نصوص تأمر بالاقتداء ببعض الصحابة فتحمل على الاقتداء بهم في الفضل وفي اتباع الدليل، لا الفهم؛ يقول تعالى في ذلك:[147]"أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ". فقال بهداهم ولم يقل بهم؛ فالعبرة ليست بالأشخاص؛ وذلك أن الفهم غير المعصوم لا يمكن أن يكون ممثلا للنص المعصوم[148]. وهو ما يؤكد عليه النبي ﷺ في وصاياه لقادة السرايا الحربية بقوله: "إن حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله؛ فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك[149]؛ فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا"[150]. بل إن السلف قد نهوا عن التسليم لفهمهم واعتبار اجتهادهم دينا ملزما؛ فعن ابن عباسﷺ قال:[151]"خذوا الحكمة ممن سمعتموها؛ فإنه قد يقول الحكم غير الحكيم، وتكون الرمية من غير رام". وعن مُعَاذ بن جبل ﷺ قال:[152]"أُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الحكيم فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم؛ وقد يقول المنافق كلمة الحق". وعن علي ﷺ قال:[153]"إن الحق لا يعرف

بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله". وعن ابن عمر – رضي الله عنهما– رفعه: "خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت"[154].

- تتميز النصوص الإسلامية في موضوعنا هذا بوفرة غير معهودة في الكتب المقدسة الأخرى موضع الدراسة، كما امتازت بجهد فقهي غير مسبوق في تاريخ الأديان الأخرى[155]؛ فطول وقوفنا أمامها مقارنة بوقوفنا أمام نصوص الأديان الأخرى ليس تقصيرا في حق الثانية، وإنما اقتضت طبيعة الأمر ذلك.

- إنه لمن الصعوبة بمكان الحديث عن ترتيب للأديان في درجات المحبة لمخالف الملة، وذلك لأن هذا الحديث يتطلب أمورا عديدة لا يمكن اعتبارها مجتمعة في المقارنة مثل:

- عدد النصوص المعارضة لهذه المحبة.
- درجة صحة النصوص المعارضة.
- مدى وجاهة توجيه النصوص المعارضة.
- عدد النصوص المؤيدة لمحبة مخالف الملة[156].
- درجة صحة النصوص المؤيدة.
- درجة التأكيد في كل نص على محبة مخالف الملة
- درجة التأكيد في كل نص على أنه يشمل غير المؤمنين، فكثيرا ما يتم التأكيد على المحبة دون تأكيد على شمولية ذلك لمخالف الملة.
- نوع التأكيد، هل هو تأكيد نابع من الاهتمام بهذا الوجه، أم تأكيد نابع من إنكار المدعويين له، بمعنى أن بعض الأديان قد يؤكد على محبة مخالف الملة بسبب معارضة المدعويين، لا بسبب العناية بهذه المحبة لأهمية خاصة يراها لها، وقد لا تؤكد بعض الأديان على

هذه المحبة لتحلي المدعويين بها أو لأنهم لا يعارضونها، ومن هنا لا يمكن اعتبار التأكيد أو عدمه ميزة لدين على دين.

التوصيات

- **على المسؤلين عن التعليم**: إعادة النظر في مناهجنا التعليمية لترسيخ الوجه المشرق للأديان في علاقتها مع الآخر، وتنقيته من كل شبهة فاسدة.
- **على كل صاحب قلم أو سلطة**: تحري الحق والحقيقة، والحذر من النظر إلى المكاسب السريعة التي تدعوا لصناعة الخلاف، وتأجيج الاختلاف. لقد آن الأوان للتخلي عن مبدأ أن (الأخبار السيئة هي وحدها الأخبار الجيدة) فلا شيء يفسد نظامنا الأخلاقي مثل هذا المبدأ الإعلامي!.
- **على الوعاظ والأدباء**: عدم الاكتفاء بما يقوم به الدارسون من مخاطبة العقل في حديث التعايش، فالمتعايش في حاجة إلى قلب مفكر وفهم محب!. إن الدراسات العلمية الحديثة تبين أن اللاوعي هو المتحكم الأكبر في سلوكياتنا مع الآخر.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه

د/ جمال الحسيني أبوفرحة

الهوامش

1. منها: البحث عن هوية، وتقوية الهوية، واستثارة الذات للعمل من أجل النهضة، بل والتسلية:

فأما البحث عن الهوية: فيقول فيه صامويل هنتنجتون: "بالنسبة للشعوب الباحثة عن هوية..... فإن العدو ضروري". صامويل هنتنجتون: صراع الحضارات: ص 37. . ويعلل ذلك بقوله: "نحن لا نعرف من نكون إلا عندما نعرف (من ليس نحن)، وذلك يتم غالبا عندما نعرف (نحن ضد من)". السابق، ص 39.

وأما تقوية الهوية: فيقول عنه إنجمار كارلسون: "لقد أصبح استمرار [فكرة الخطر الخارجي الشامل] .... عنصرا لازما لتقوية الهوية الأوربية التي يعتريها الوهن والضعف". إنجمار كارلسون: الإسلام وأوروبا: تعايش أم مجابهة، ص 29. وانظر د. صلاح قنصوة: مقدمة ترجمة كتاب هنتنجتون "صراع الحضارات"، ص 27. . ويقول ديبون على لسان أحد شخوص روايته البحيرة الميتة: "إن لم نكره ما ليس نحن، فلن يمكننا أن نحب ما هو نحن". صامويل هنتنجتون: السابق، ص 36.

وأما استثارة الذات للعمل من أجل النهضة: فذاك لأن مشاعر الكراهية تعلو وتحجب الشعور بالتعب البدني؛ فتزداد عدد ساعات العمل البدني للحاقدين مما يدعم الاقتصاد والاستقرار السياسي. انظر: هارالد موللر: تعايش الثقافات، ص99. وانظر: صامويل هنتنجتون: السابق، ص211.

وأما التسلية: فيشير إليها فرانسيس فوكوياما في تعليقه على ما انتهى إليه في أطروحته المعنونة بـ "نهاية التاريخ" – من أن انتهاء الحرب الباردة يعني انتهاء الصراع الكبير في السياسة الكونية وظهور عالم واحد منسجم نسبيا – بقوله: "إن ذلك سيكون مضجرا". هارالد موللر: تعايش الثقافات، ص52. . وواضح أنه ضجر ناتج عن غياب التسلية من مشاهدة الصراعات البشرية والمشاركة فيها، وهو ما يذكرنا بالتسلية التي يشعر بها مشاهدو مصارعة الديكة ومشاهدو مصارعة الثيران والمشاركون فيها، وكأن قيمة الإنسان في عيون هؤلاء كقيمة ثور أو قيمة ديك!

2. حيث أدرك فريق من السياسيين: حكاما ومعارضين، أن من وسائل السيطرة السياسية وجود شيطان سياسي يتم البحث عنه أو صناعته. حتى إذا لم يجد الحديث عن الولاء السياسي مبررا لوجوده من عمل مخلص جاد ينهض بالأمة كان العداء للشيطان – حقيقيا كان أو مصنوعا– مبررا كافيا للولاء للزعيم أو للملاك المناضل ضد الشيطان، فتتلهى الشعوب بهذه الصورة الخادعة عن آلامها وآمالها. انظر:

الغزالي: إحياء علوم الدين، 1/ 41، ط دار الفكر العربي.

هارالد موللر: السابق، ص 96.

روايتا أورويل: (George Orwell: Animal Farm– Nineteen Eighty Four).

فالعامة والغوغاء تستهويها فكرة الشياطين المرجومة التي ينزلون عليها غضبهم، فالناس في حاجة إلى إخراج مشاعرهم السلبية المكبوتة؛ وعند العجز عن إخراجها على من يستحق إلقاءها عليه، وغياب الحكمة والعدل وترسخ الجبن والجهل، يتم إلقاؤها على من يمكن إلقاؤها عليه؛ فيصبح معيار الشتم واللعن والعداء هو الإمكان لا الاستحقاق، وأخيرا تُحمل هذه الشياطين المصنوعة عبء إخفاق الزعماء في تحقيق آمال وتخفيف آلام أتباعهم.

3. فكثيرا ما تمارس الفئات المتغلبة اقتصاديا – للحفاظ على مكاسبها– سياسات اقتصادية إقصائية للمنافس الاقتصادي، تحت شعارات مختلفة مفادها: أن المنافس غير مستحق للمشاركة الاقتصادية العادلة. ثم تُأصَّل هذه المزاعم؛ والتأصيل الديني بالطبع لا يغيب عن مشهد كهذا.

4. فكثير من مظاهر التعصب والعداء بين بني البشر مردها إلى أن كثيرين من أتباع الثقافات المختلفة حصروا أنفسهم – وكثيرا ما زعموا حصار الدين لهم – في دائرة فكرية ضيقة خاصة بهم؛ فجهلوا ما لدى الآخرين، وكانت النتيجة الحتمية لهذا الانكماش وهذا الجهل هو قناعتهم بأن الحقيقة حكر عليهم وحدهم، وأنهم هم فقط المتمسكون بالحقيقة التي لا يجوز لأحد أن يفرِّط فيها أو يحيد عنها، ومن ثمة فمخالفهم: إما جاهل، وإما منافق يعلم الحق ويعدل عنه لدنيا يصيبها!.

5. نتيجة: الخلط بين المعاني: اللغوية، أو الاصطلاحية، أو المجازية؛ أو الخلط بين معاني الألفاظ والعبارات في اللهجات المختلفة؛ أو اختصار بعض المعلومات اللازمة لتوضيح الكلام وإزالة اللبس عنه؛ أو قصور اللغة...الخ. ومن هنا بات التواصل اللفظي في حاجة للاستيثاق من تحقيقه للفهم والإفهام؛ فبدون فهم وإفهام ينقلب الأمر، ويغدو التواصل أخطر من عدمه؛ فكثير من الخلافات سواء الفكرية أو السياسية أو الاجتماعية تنشأ من إساءة التفاهم اللغوي.

6. إن قراءة التاريخ تمدنا بأمثلة لا حصر لها – ليس هنا موضع بسطها– للعداوة ذات البواعث النفسية والعرقية؛ وقد كانت أول معصية على الإطلاق تذكرها الكتب المقدسة لكثير من

الأديان بدافع الغيرة وبدافع الاستعلاء العرقي وهي معصية إبليس في رفضه السجود لآدم. وكانت المعصية الأولى على الأرض بدافع الغيرة وهي قتل قابيل لهابيل.

7. ط1، القاهرة: مركز الحضارة العربية، 1433هـ.

8. وهو ما تشهد له نصوص مقدسة في الأديان الثلاثة موضع الدراسة:

يقول العهد القديم: "فِعْلُ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ أَفْضَلُ عِنْدَ الرَّبِّ مِنَ الذَّبِيحَةِ". سفر الأمثال: 21: 3. ويقول على لسان الرب: "لَسْتُ أُطِيقُ الإِثْمَ وَالاعْتِكَافَ.... حِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيَكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ، وَإِنْ كَثَّرْتُمُ الصَّلاَةَ لاَ أَسْمَعُ. أَيْدِيكُمْ مَلآنَةٌ دَمًا". إشعياء 1: 13– 15. وانظر 58: 1– 9.

ويقول العهد الجديد على لسان المسيح –عليه السلام– : "إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً". إنجيل متى: 9: 13. بل وتجعل المسيحية من الالتزام الخلقي مع الناس الخطوة الأولى في الطريق نحو الله: فيقول العهد الجديد على لسان المسيح –عليه السلام– : "فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ* فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ". إنجيل متى5: 23– 24.

ويقول النبي ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". رواه: أحمد، ومالك، والبخاري في الأدب المفرد، والحاكم، والبيهقي في الشعب، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة. وعند بعضهم: "لأتمم صالح الأخلاق". وكذلك يجعل الإسلام من الالتزام الخلقي مع الناس الخطوة الأولى في الطريق نحو الله؛ فيقول النبي ﷺ: "لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ". رواه أبو داود في سننه في باب في شكر المعروف من كتاب الأدب برقم 4179، بل ويجعله الخطوة الأعظم؛ فيقول النبي ﷺ:"أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنُ الْخُلُقِ". رواه البخاري في الأدب المفرد، في بَاب الرِّفْقِ برقم 460، ويقول النبي ﷺ: "إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا". رواه البخاري في صحيحه في باب حسن الخلق من كتاب الأدب برقم 5602، ويقول النبي ﷺ: "الْخُلُقُ الْحَسَنُ يُذِيبُ الْخَطَايَا كَمَا يُذِيبُ الْمَاءُ الْجَلِيدَ، وَالْخُلُقُ السُّوءُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ". رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم 10633.

9. راجع لمزيد من التفصيلات حول ترتيب الأدلة كتابنا: الحوار مع الآخر، خطأ ترتيب الأدلة من الأقوى للأضعف، ص 186: 188.

10. http://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/search.php

11. يقول الجويني في ذلك: "كل مجتهد في الفروع مصيب عندنا، ومن قال إن المصيب واحد فهو غير متعين عنده". الجويني: الإرشاد، ص 312. وهو ما يؤكد عليه النبي ﷺ في وصاياه لقادة السرايا الحربية بقوله: "إن حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله؛ فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك؛ فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا". رواه مسلم برقم2 من كتاب الجهاد، وأبو داود في الباب 82 من كتاب الجهاد، والترمذي في الباب 47 من كتاب السير، وابن ماجة في الباب 38 من كتاب الجهاد، والدارمي في الباب 8 من كتاب السير، وأحمد 5/ 358. أي: أنزلهم على فهمك لحكم الله ورسوله الذي لا يحجر على غيره من الفهوم المقبولة لغة وشرعا، وليس المقصود حكمك الذي لا يتقيد بالنص إن وجد نص وليس لإنسان أن يُلزم من لم يفهم فهمه بفهمه، وإنما يُلزمه بحكمه إن كان قاضيا أو حاكما، وفرق بين الإلزام بالحكم والإلزام بالفهم.

12. انظر: قوجمان: قاموس عبري عربي، ص1014.

13. ويُعد يهودا هنَّاسي آخر التنائيم – رواة المشنا– وأول الأمورائيم –علماء الجمارا– انظر: متن التلمود، المشنا الأولى، ص19 من التمهيد، بقلم: د. مصطفى عبد المعبود.

14. انظر: السابق، ص ص19: 23 من التمهيد. وانظر: التلمود البابلي، ص ص4: 14 من المقدمة، بقلم: نبيل فياض.

15. وتنقسم أسفار الأنبياء إلى ثلاث مجموعات: الأسفار التاريخية، وأسفار الأنبياء الكبار، وأسفار الأنبياء الصغار.

16. بولس الرسول: ويعرف أيضًا ببولس الطرسوسي أو القديس بولس (أحيانًا يُكتب اسمه بالعربية بحرف الصاد بولص)، هو أحد قادة الجيل المسيحي الأول، وينظر إليه على أنه أهم شخصية في تاريخ المسيحية بعد المسيح – عليه السلام–، وينسب إليه 14 سفرا من أسفار العهد الجديد الـ 27.

17. انظر: رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس 3: 14.

18. وذلك لأن المسيحية ديانة دعوية بعكس اليهودية.

19. انظر: الشوكاني: إرشاد الفحول، 1/ 119: 120. وانظر: حسب الله: أصول التشريع الإسلامي، ص17.

20. راجع: ابن منظور: لسان العرب مادة (سنن).

21. انظر: الشوكاني: السابق، 1/ 131: 132.

22. مجلة أديان، الإصدار الأول 2011م، ص9.

23. المشنا الرابعة، المبحث التاسع: آفوت أو الآباء، الفصل الأول، الفقرة (ل)، ص274.

24. والجويم كلمة عبرية مفردها جوي גוי أو غوي، وتعني في اللغة العبرية: غير اليهودي. انظر: قوجمان: قاموس عبري عربي، ص 97. أو "الأغيار" كما يسميهم اليهود أحيانا.

25. انظر المشنا السادسة، المبحث الثامن: مكشرين أو إعداد الأطعمة لقبول النجاسة، الفصل الثاني، الفقرة (ح)، ص349.

26. الثروة الدائمة: مصطلح يعبر عن اشتراط شريك في التجارة على شريكه المشاركة في الربح دون الخسارة. والعبارة بها غموض في تحديد الفاعل و المفعول.

27. المشنا الرابعة، المبحث الثاني: بابا مصيعا أو الباب الأوسط، الفصل الخامس، الفقرة (و)، ص91.

28. المشنا الرابعة، المبحث الأول: بابا قاما أو الباب الأول، الفصل الرابع، الفقرة (ج)، ص54.

29. سفر الأمثال 14: 30.

30. سفر التثنية:23:7.

31. سفر اللاويين 19: 33– 34.

32. سفر الحكمة 12: 19.

33. سفر الأمثال 10: 12.

34. سفر الحكمة 7: 21–23 .

35. السابق 1: 6.

36. السابق 11: 25– 27.

37. يقول الحاخام هلّيل Hillel (110ق.م– 10م) ملخصا للشريعة اليهودية: "ما لا تحب لنفسك لا تصنعه لغيرك، هذا هو مطلب الشريعة بأسرها وما بقي ليس سوى شرح". بايه: أخلاق الإنجيل، ص161.

38. سفر التثنية 10: 17– 19.

39. السابق 23 :20– 21.

40. رسالة يوحنا الرسول الأولى 3: 18.

41. إنجيل يوحنا 3 : 16.

42. رسالة يوحنا الرسول الأولى 4: 11.

43. السابق 3: 16.

44. السابق 4: 20– 21.

45. يقول التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: "عندما يدخل إنسان إلى الإيمان المسيحي يصبح فردا من أسرة بيت الله وأحد أولاد الله ويصير المؤمنون الآخرون أخوة له ولسنا نحن بل الله الذي يحدد من بقية أولاده". ص 2731.

46. رسالة يوحنا الرسول الأولى 4: 16.

47. السابق 4: 7– 8.

48. رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 5: 6– 8.

49. إنجيل متى 5: 44– 48. وانظر إنجيل لوقا 6: 27– 32.

50. رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس 1: 5.

51. إنجيل متى 22: 36–39.

52. انظر: الأب فاضل سيداروس اليسوعي وآخرون: معجم اللاهوت الكتابي، ص624.

53. إنجيل لوقا 10: 25– 37.

54. رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 13: 8.

55. رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 13:13.

56. إنجيل مرقس 12: 33.

57. رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي 3: 14.

58. رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 13: 4– 8.

59. السابق 8: 1.

60. السابق 13: 1– 3.

61. السابق 16: 14.

62. رسالة يوحنا الرسول الأولى 3: 15. وانظر متى 5: 21– 22.

63. يقول جيروم: "لأن القتل ينبع من البغضة، لذلك فالذي يبغض ولو لم يقتل فريسته، يحسب قلبه قاتلًا". القمص تادرس يعقوب ملطي: شرح الكتاب المقدس – العهد الجديد. على الموقع الإلكتروني: ttp://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-02-New-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/23-Resalat-Youhanna-Al-Oula/Tafsir-Resalat-Youhana-I__01-Chapter-03.html

64. انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة حبب؛ والزبيدي: تاج العروس، مادة حبب.

65. وهو ما تشير إليه معاني (الصفاء والنقاء والهدوء والخضوع).

66. وهو ما تشير إليه معاني (الراحة والشفاء، والمساندة والاهتمام).

67. وهو ما تشير إليه معاني (التناسق والنماء والإثمار).

68. ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص33. وانظر ابن منظور: لسان العرب مادة ودد.

69. أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، الباب السابع، الفرق بين الحب والود، ص122.

70. محمد راتب النابلسي، موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، العقيدة الإسلامية، أسماء الله الحسنى، اسم الله الودود.

71. ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.

72. انظر على سبيل المثال: ابن منظور: لسان العرب حرف الحاء (حبب)، وحرف الدال (ودد).

73. صدر منها بحثان: الأول: (الإحسان إلى مخالف الإيمان: العطاء والدعاء نموذجا). والثاني:. (التحية والابتسام لمخالف الإيمان).

74. القصص 56.

75. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن تفسير الآية 56 من سورة القصص.

76. البغوي: معالم التنزيل، تفسير الآية 56 من سورة القصص.

77. الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن، تفسير الآية 56 من سورة القصص.

78. محمد بن صالح العثيمين [المفتي الأسبق للمملكة العربية السعودية]: القول المفيد على كتاب التوحيد، الجزء الأول، باب قول الله تعالى: "إنك لا تهدي من أحببت".

79. المائدة: 5.

80. الروم: 21.

81. الممتحنة 8: 9.

82. رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال.

83. التوبة: 24.

84. محمد رشيد رضا: تفسير المنار، تفسير الآية 24 من سورة التوبة.

85. كما سيأتي بيانه في حديثنا عن تفسير الآية 22 من سورة المجادلة.

86. قال تعالى"وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا". لقمان: 15.

87. يخالفنا الرأي هنا كثير من العلماء قديما وحديثا؛ فيقول ابن تيمية: "المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك، فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله؛ فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه". ابن تيمية: مجموع فتاوى ابن تيمية، 209/28، كتاب الفقه، باب الجهاد، فصل في مسائل إسحاق بن منصور. ط مجمع الملك فهد.

ويقول السعدي: "فلا يكون العبد مؤمنا بالله واليوم الآخر حقيقة، إلا كان عاملا على مقتضى إيمانه ولوازمه، من محبة من قام بالإيمان وموالاته، وبغض من لم يقم به ومعاداته، ولو كان أقرب الناس إليه. وهذا هو الإيمان على الحقيقة". السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تفسير الآية 22 من سورة المجادلة.

88. وقد كان النبي ﷺ يَقسِم بين أزواجه ويعدل، ويقول: "اللهم هذا قَسْمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تَملك ولا أملك". رواه أبو داود والحاكم، وقال أبو داود: يعني القلب. وقال الحاكم: الحديث على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

89. المجادلة: 22. "من حادّ الله ورسوله: أي من عادى اللّهَ ورسولَه". الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن، تفسير الآية 22 من سورة المجادلة.

90. وهذا أمر مشهود، نراه ورآه القائل:

فإنِّي رَأَيْتُ الحُبَّ في القَلْبِ والأَذَى ** إذا اجْتَمعا لم يَلْبَثِ الحُبُّ يَذْهَبُ.

صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري: الحماسة البصرية، تتمة باب الأدب، باب النسيب والغزل، والشاعر مجهول.

91. كما أو كيفا.

92. يقول ابن تيمية: "فالمحب ... [لله] لو كان موادا لمحاده، لكان محبا لاجتماع مراد المتحابين المتعادين وذلك ممتنع". ابن تيمية: قاعدة في المحبة، ص 163: 164.

93. رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

94. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تفسير الآية 22 من سورة المجادلة.

95. عن ابن عمر رضي الله عنهما "قال لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟! فقال رسول الله ﷺ إنما خيرني الله فقال: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة) وسأزيده على سبعين. قال: إنه منافق!، فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره)". رواه مسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم. والبخاري في صحيحه بلفظ مختلف، في كتاب الجنائز، باب الكفن في القميص الذي يكف أو لا يكف ومن كفن بغير قميص.

96. روى ابن كثير – في تفسير قوله تعالى: "يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ". المنافقون: 8 – عن "عاصم بن عمر بن قتادة : أن عبد الله بن أبي....– لما بلغه ما كان من أمر أبيه – أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبيّ فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلا فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس، فأقتله، فأقتل مؤمنا بكافر، فأدخل النار. فقال رسول الله ﷺ: (بل نترفق به ونحسن صحبته، ما بقي معنا). وذكر عكرمة، وابن زيد، وغيرهما : أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله هذا على باب المدينة واستل سيفه، فجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبيّ قال له ابنه: وراءك. فقال: ما لك؟ ويلك!. فقال: والله لا تجوز من ها هنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فإنه العزيز وأنت الذليل!. فلما جاء رسول الله ﷺ ..... فشكا إليه عبد الله بن أبي ابنه، فقال ابنه عبد الله: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له. فأذن له رسول الله ﷺ فقال: أما إذ أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن. وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده: حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا أبو هارون المدني، قال: قال عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سلول لأبيه: والله لا تدخل المدينة أبدا حتى تقول: رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأذل. قال: وجاء إلى النبي

ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي، فوالذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له، لئن شئت أن آتيك برأسه لآتينك، فإني أكره أن أرى قاتل أبي". ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تفسير الآية 8 من سورة المنافقون.

97. ويخالفنا العثيمين الرأي حيث يجيز محبة من حاد الله ورسوله فيقول: "إن المودة للقرابة لا تُعد من المودة في الدين، يُؤخذ من أن عبد الله بن عبد الله بن أبي ما سأل هذا لأبيه [أن يكفن في قميص النبي ﷺ] إلا من أجل محبته أن يخفف الله عنه". العثيمين: شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، كتاب الجنائز، 2/ 528. تعليقًا على حديث ابن عمر – رضي الله عنهما– قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه إلى رسول الله – ﷺ – فقال: "أعطني قميصك أكفنه فيه. فأعطاه إياه". متفق عليه: رواه البخاري برقم (1269)، ومسلم برقم (2774). وهو ما ذهب إليه من قبل بعض العلماء كمقاتل ابن حيان؛ "قال مقاتل بن حيان: إن هذه الآية [عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" الممتحنة 7]. نزلت في أبي سفيان صخر بن حرب, فإن رسول الله ﷺ تزوج ابنته, فكانت هذه مودة ما بينه وبينه, و.....رسول الله ﷺ تزوج بأم حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح, وأبو سفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف". ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تفسير الآية 7 من سورة الممتحنة. قال ابن كثير: "وفي هذا الذي قاله مقاتل نظر". السابق نفس الموضع. وقال القرطبي: "عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة: وهذا بأن يسلم الكافر". القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تفسير الآية 7 من سورة الممتحنة.

98. الممتحنة: 4.

99. وهنا يخالفنا الرأي كثير من العلماء كالدكتور.عبد الرحمن بن ناصر البراك [عالم دين سعودي وعضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقًا]: حيث يقول:"فإن من المقالات الباطلة التي لا تصدر إلا مِن منافقٍ، أو جاهلٍ مخدوعٍ، ومنشؤها مداهنةُ الكُفَّار والركونُ إليهم، بدعوى مجاملتهم والتَّلَطُّفِ معهم، هذه المقالةَ الباطلةَ، وهي أن البغض الذي فرضَه اللهُ على المسلم للكافر إنّما هو بُغْضُ كُفرِه لا بُغضُ شخصِه، وفي هذا تلبيس، ومغالطة ظاهرة، ومناقضة للعقل والواقع والشرع". مقال منشور لفضيلته بتاريخ 12/ 11/1437هـ. على الموقع التالي: http://almoslim.net/node/268708

100. الشعراء: 168.

101. الروم: 45. آل عمران 32.. ويرى القرطبي أن نفي القرآن لحب الله تعالى للكافرين لا يعني سوى أنه "لا يغفر لهم". القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تفسير الآية 32 من سورة آل عمران.

102. الأنعام: 141.

103. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تقسير الآية 141 من سورة الأنعام.

104. رواه أحمد في المسند برقم (18524) وحسنه الألباني في "صحيح الترغيب" برقم (3030).

105. رواه عبد الرزاق والحميدي والطيالسي وأحمد، وصححه الترمذي في سننه في باب فضل التوبة من كتاب الدعوات، وابن حبان في صحيحه.

106. رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الأطعمة، باب المرء على دين خليله فلينظر من يخال. وفي رواية: "الرجل على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل". رواه الترمذي في سننه في كتاب الزهد، باب ما جاء في أخذ المال بحقه، وغيرهما.

107. قال ابن منظور: "الخلة: الصداقة المختصة التي ليس فيها خلل،... والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي في باطنه،... [و] الحاجة والفقر، ...[و] الخليل: الذي أصفى المودة وأصحها، ...[و] الخليل: المحب الذي ليس في محبته خلل،... وقيل للصداقة: خلة؛ لأن كل واحد منهما يسد خلل صاحبه في المودة والحاجة إليه". ابن منظور: لسان العرب، حرف الخاء، خلل.

108. فالدين في اللغة والاصطلاح لا يعني العقيدة والشريعة فحسب، فالدين يعني: الطاعة، والعادة والشأن، والحال. انظر: ابن منظور: لسان العرب، حرف الدال، دين. ويقول ابن تيمية: "فُسِّر الدين بالعادة والخلق، ويفسر الخلق بالدين أيضا". ابن تيمية: قاعدة في المحبة، ص 94. وقال المباركفوري: "على دين خليله: أي على عادة صاحبه وطريقته وسيرته". المباركفوري: تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في أخذ المال بحقه.

109. رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، باب المقة من الله تعالى. ومسلم بلفظ مختلف في كتاب البر والآداب، باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده.

110. رواه ابن ماجة في سننه، في كتاب الزهد، باب الورع والتقوى. بإسناد صحيح.

111. يقول تعالى: "وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ". الحجرات:9: 10. فنجده تعالى يصف الطائفتين المقتتلتين بالإيمان وبالأخوة.

112. وهما: ألا تكون محبتهم أكبر من محبة المؤمن لله ورسوله وجهاد في سبيله، وألا يكون الكافر محادا لله ولرسوله.

113. يقول عبد الرزاق عفيفي (عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية): "من الأصول المتفق عليها بين المسلمين: أن كل مؤمن موحد تارك لجميع المكفرات الشرعية تجب محبته وموالاته ونصرته، وكل من كان بخلاف ذلك وجب التقرب إلى الله ببغضه ومعاداته.....[ثم يقول:] الولاء والبراء تابعان للحب والبغض". عبد الرزاق عفيفي: الولاء والبراء في الإسلام، ص91. . ونحن نخالف الشيخ في أمرين: الأول: زعمه بأن رأيه متفق عليه. والثاني: مبدأ إيجاب الحب والبغض؛ فكما ذكرنا من قبل فإن الحب والبغض من أفعال القلوب وأفعال القلوب لا يدخلها أمر ولا نهي.

ويقول ابن باز (المفتي الأسبق للمملكة العربية السعودية): "الولاء والبراء معناه محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين ومعاداتهم". الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن باز على الشبكة العنكبوتية، https://binbaz.org.sa/old/37631.

114. من الجدير بالملاحظة أن موضوع الولاء والبراء لا نجد عنه في كلام السلف من الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين سوى عبارات موجزة، ولا نجد حديثا موسعا بل ومتطرفا عنه إلا في عصور تالية اختلطت فيها السياسة بالدين. راجع مبحث "المعوقات السياسية للتعايش مع الآخر" من كتابنا (التعايش مع الآخر).

115. الأعراف:27.

116. المائدة: 51.

117. الحشر: 14.

118. انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تفسير الآية 257 من سورة البقرة.

119. انظر: القرطبي: السابق، تفسير الآية 11 من سورة محمد.

120. المائدة: 51.

121. التوبة: 23.

122. يقول محمد رشيد رضا :"فإنما النهي عن ولاية الحرب والنصرة للكافرين المحاربين لنا لأجل ديننا". محمد رشيد رضا: تفسير المنار، تفسير الآية 23 من سورة التوبة. ويقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: "يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسراركم وتطلعونهم على عورة الإسلام وأهله, وتؤثرون المكث بين أظهرهم على الهجرة إلى دار الإسلام. (إنِ اسْتَحَبّوا الكُفْرَ على الإيمَانِ) يقول: إن اختاروا الكفر بالله على التصديق به والإقرار بتوحيده. (وَمَنْ يَتَوَلّهُمْ مِنْكُمْ) يقول: ومن يتخذهم منكم بطانة من دون المؤمنين, ويؤثر المقام معهم على الهجرة إلى رسول الله ودار الإسلام (فَأُولَئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ)". الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن، تفسير الآية 23 من سورة التوبة.

123. عَنْ عَلِيٍّ – عليه السلام –، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ, وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ وَكُلُّنَا فَارِسٌ، قَالَ: "انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ", فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ, فَقُلْنَا: الْكِتَابُ، فَقَالَتْ: مَا مَعَنَا كِتَابٌ, فَأَنَخْنَاهَا, فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرَ كِتَابًا، فَقُلْنَا: مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ, فَلَمَّا رَأَتِ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ فَأَخْرَجَتْهُ, فَانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ"، قَالَ حَاطِبٌ: وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لَا أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي, وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "صَدَقَ وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا"، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: "أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ"، فَقَالَ: "لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ, أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ", فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ". رواه البخاري في صحيحه

في بَاب فَضْلُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا، من كِتَاب الْمَغَازِي، وفي مواضع أخرى، وأحمد في المسند، والنسائي في سننه، والحاكم في المستدرك، وابن حبان في صحيحه.

124. يقول دستور المدينة: "وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم". حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص62.

125. رواه البخاري في صحيحه في باب "أعن أخاك ظالما أو مظلوما" من كتاب "المظالم".

126. وليس هناك ما يمنع من وصف الكافر بالأخوة من وجهة النظر الإسلامية فكثيرا ما تصف النصوص الإسلامية المخالف في المعتقد بالأخوة، ومن ذلك: قوله تعالى:"كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ". الشعراء 105: 106. وقوله تعالى: "كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ". الشعراء 123: 124. وقوله تعالى: "كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ". الشعراء 141: 142. وقوله تعالى:"كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ" الشعراء 160: 161. وقوله تعالى:"وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ". ق: 13. بل يطلق النبي ﷺ هذا الوصف حتى على من حق عليه القول وأدخل النار؛ يقول ﷺ: "ما مجادلة أحدكم في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أُدخلوا النار". رواه النَّسائي في باب زيادة الإيمان من كتاب الإيمان، وابن ماجه في باب الإيمان من المقدمة، وأحمد في المسند، في مسند أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه. وهذا رسولنا ﷺ بعد فتح مكة؛ وأهلها يتوجّسون خيفة لما فعلوه به ﷺ وصحبه؛ يسألهم النبي ﷺ قائلا: "يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم؛ قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء" رواه ابن إسحاق في السيرة، وابن هشام: في السيرة النبوية ؛ وابن القيم: في زاد المعاد. والطبري في التاريخ، وابن كثير في "البداية والنهاية"، كل في قصة فتح مكة، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة.. فنجده ﷺ هنا يقبل وصف الآخر في المعتقد بالأخوة ، بل ويقيم ما يترتب على ذلك من حقوق الأخوة: من عفو ومسامحة.

127. قبل مبعثي.

128. أي الآن بعد مبعثي.

129. أي أن أنقضه.

130. أي ويكون لي مقابل نقضي لهذا العهد حمر النعم؛ وحمر النعم: الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب.

131. رواه المعافى بن زكريا في كتابه الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، في المجلس السابع والستون؛ وقال: "قَدِ اخْتُلِفَ فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ سُمِّيَ هَذَا الْحِلْفُ حِلْفَ الْفُضُولِ ، فَفِي الأَوَّلِ: أَنَّهُ سُمِّيَ بِهَذَا لِقَوْلِهِمْ لَقَدْ دَخَلَ هَؤُلاءِ فِي فَضْلٍ مِنَ الأَمْرِ، وَفِي الْخَبَرِ الثَّانِي: لَمَّا قَالُوا فِي حِلْفِهِمْ إِنَّهُمْ لا يَدَعُونَ لأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ فَضْلا إِلا أَخَذُوهُ". وإسناده ضعيف ويحسن إذا توبع. . وفي رواية قال ﷺ: "شَهِدْتُ وَأَنَا غُلامٌ مَعَ عُمُومَتِي حِلْفَ الْفُضُولِ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمَرَ النعَمِ وَإِنِّي أَنْكُثُهُ". رواه أبو يعلى الحنبلي في طبقات الحنابلة. وإسناده حسن. . وفي رواية: "شَهِدْتُ غُلامًا حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ، فَمَا أُحِبُّ أَنْ أَنْكُثَهُ وَإِنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ". رواه البيهقي في السنن الكبرى وإسناده ضعيف ويحسن إذا توبع. . وفي رواية: "شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ مَعَ عُمُومَتِي، وَأَنَا غُلَامٌ فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنِّي أَنْكُثُهُ". رواه أحمد في المسند برقم 1589. وفي رواية: "شَهِدْتُ غُلَامًا مَعَ عُمُومَتِي حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنِّي أَنْكُثُهُ". رواه أحمد في المسند برقم 1609.

132. الممتحنة: 1.

133. المائدة: 51: 57.

134. وهو ما يؤكد عليه الغزالي في كتابه: التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، ص ص 50: 53. وكذلك في كتابه: الإسلام والاستبداد السياسي، ص ص 103: 104.

135. النساء: 101: 102.

136. التوبة: 8.

137. التوبة: 10.

138. التوبة: 13.

139. آل عمران: 118: 119.

140. البقرة: 105.

141. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة البقرة، تفسير الآية 105.

142. الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تفسير سورة البقرة، تفسير الآية 105.

143. انظر: الجلالين: تفسير الجلالين، تفسير سورة البقرة، تفسير الآية 105.

144. علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، شرح محمد عبده، ج4 ص 518.

145. انظر: المزمور 56: 4– 5. سفر إرمياء 23: 36. رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 7: 12 ،40. رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 15: 20. سبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة ص334. وانظر: مدخل العهد الجديد، طبعة دار المشرق، ص ص25: 26. وانظر: الفاتيكان: البند 12من الفصل الثالث من دستور المجمع المسكونى للفاتيكان الثانى: "الوحى الإلهى"، ص130. وانظر: بايه: أخلاق الإنجيل، ص 189.

146. انظر: متى 5: 17.

147. الأنعام: 90.

148. وأمام هذه الحقيقة: حصر بعض العلماء حجية قول الصحابي فيما اشتهر ولم يُعلم له مخالف (وهو ما اصطلحوا على تسميته بالإجماع السكوتي)، وهذا غير مُسلَّم به أيضا فعدم العلم بوجود المخالف ليس علما بعدم وجوده.

وأمام هذه الحقيقة حصر بعض آخر من العلماء حجية قول الصحابي فيما لا يدرك بالرأي – كالغيبيات– ظنا منهم أن الصحابي في هذه الحالة لابد وأن يكون آخذا عن النبي ﷺ وحتى هذا غير مُسلَّم به لجواز كون الصحابي حاكيا عما شاع في عصره، أو عما سمعه ممن لا نثق به، ورواية بعض الصحابة للإسرائيليات خير دليل على ذلك.

ونتفق مع من ذهب إلى حجية قول الصحابة إذا اشتهر الرأي ولم نعلم له مخالفا إذا كانت المسألة مما لا يمكن الاجتهاد فيه على وجهه إلا لهم، وهو ما احتاج في فهمه إلى قرائن لم يشاهدها إلا هم، وكذا ما احتاج إلى قوة في معرفة لغة العرب.

انظر في حجية قول الصحابي: الشاطبي: الموافقات 302/3، حسب الله: أصول التشريع الإسلامي، ص ص75: 78.

وعلى كل حال، لم يحدث إجماع سكوتي على رفض محبة مخالف الملة المسالم عند السلف، ولا علاقة لدراستنا بالغيبيات فموضوعنا في المعاملات.

149. **أي: أنزلهم على فهمك لحكم الله ورسوله الذي لا يحجر على غيره من الفهوم المقبولة لغة وشرعا، وليس المقصود حكمك الذي لا يتقيد بالنص إن وجد نص**

150. **رواه مسلم برقم 2 من كتاب الجهاد، وأبو داود في الباب 82 من كتاب الجهاد، وغيرهما. وجدير بالتنويه هنا أن المسلم لا يطبق النصوص القرآنية والنبوية وإنما يطبق فهمها غير المعصوم الذي فهمه العلماء الثقات.**

151. **انظر: السخاوي: المقاصد الحسنة،1 /310.**

152. **رواه أبو داود في الباب 5 من كتاب السنة.**

153. **القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تفسير الآية 42 من سورة** البقرة.

154. ونحو هذا يروى من قول علي. انظر: السخاوي: المقاصد الحسنة،1 /311.

155. فالنص اليهودي والمسيحي المقدس المعاصر هو في حقيقته تفسير لنص مقدس مفقود، ومن ثمة لا تضيف تفسيرات هذه التفسيرات (شروح هذه النصوص المقدسة) في الغالب جديدا ذا بال، وكثيرا ما كانت متصنعة متكلفة، ومن ثم كانت استفادتنا منها – رغم حرصنا– ضئلة.

156. وما يتعلق بالعدد والتعداد فمعرفته يسيرة ولو اقتصر الأمر عليه لكان ترتيب الأديان في المحبة لمخالف الملة سهلا؛ يقول ابن تيمية: "إن ذكر العدل في التوراة أكثر، وذكر الفضل في الإنجيل أكثر، والقرآن جمع بينهما على غاية الكمال". ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، فصل "من أدلة عموم رسالة النبي ﷺ" فصل "نقض دعواهم الاستغناء باليهودية والنصرانية" 5/ 59.

أهم المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم وكتب التفاسير:**

- **البغوي (الحسين بن مسعود البغوي أبو محمد):**

- معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، د.ط، الرياض: دار طيبة، 1409هـ – 1989م.

- **الجلالين (جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي):**

- تفسير الجلالين، ط1، القاهرة: دار الحديث، د.ت.

- **رشيد رضا (محمد رشيد بن علي رضا):**

- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، د.ط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.

- **السعدي (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله):**

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، دمشق: مؤسسة الرسالة،1420هـ –2000م.

- **الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير):**

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن... حققه محمود محمد شاكر، راجعه أحمد محمد شاكر. القاهرة: د.ط، دار المعارف، 1957م.

- **القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري):**

- الجامع لأحكام القرآن، د.ط، القاهرة: دار الشعب، د.ت.

- **ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي):**

- تفسير القرآن العظيم، د.ط، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، د.ت.

➢ **كتب السنة النبوية وشروحها:**

- **أحمد بن حنبل:**

- مسند أحمد بن حنبل، د.ط، بيروت: دار صادر، د.ت.

- **الألباني (محمد ناصر الدين):**

- سلسلة الأحاديث الصحيحة، د.ط، د.م: بيروت: المكتب الإسلامى، د.ت.

- السلسلة الضعيفة والموضوعة، على الموقع الإلكتروني التالي:

http://www.waqfeya.com/book.php?bid=505

- صحيح الترغيب والترهيب، ط1، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1421 هـ - 2000م.

- **البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بزدزبة):**

- صحيح الأدب المفرد، حقق أحاديثه وعلق عليه : محمد ناصر الدين الألباني، ط4، القاهرة: دار الصديق، 1418هـ - 1997م.

- صحيح البخاري، د.ط، القاهرة: مطابع الشعب، د.ت.

- **البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين):**

- السنن الكبرى، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ - 2003م.

- شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1410 هـ.

- **الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة):**

- سنن الترمذي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط2، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، 1978م.

- **الحاكم النيسابوري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله):**

- المستدرك على الصحيحين، د.ط، بيروت: دار المعرفة، 1998م.

- **ابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد بن حبان)**

- صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1408 هـ - 1988م.

- **ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني).**

- فتح الباري بشرح البخاري، د.ط، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، 1959م.

- **أبو داود (سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني):**

- سنن أبي داود، تعليق أحمد سعد علي، ط1، القاهرة: ط مصطفى البابي الحلبي، 1952م.

- **الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي):**

- المعجم الكبير، تحقيق: حمد عبد المجيد السلفي، د.ط، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، 1415هـ.

- **ابن ماجه (أبو عبد الله بن يزيد القزويني):**

- سنن ابن ماجه، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، القاهرة: عيسى البابي الحلبي، د.ت.

- **مالك بن أنس:**

- الموطأ، تحقيق: محمد علوي المالكي، ط1، جدة: دار الشروق، 1985م.

- **المباركفوري (أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم):**

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د،ت.

- **مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري):**

- صحيح مسلم بشرح النووي، د.ط، القاهرة: ط مصطفى البابي الحلبي، د.ت.

- **النسائي (أبو عبد الرحمن بن شعيب بن علي):**

- سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غده، ط2، بيروت، 1986م.

➢ **الكتابات المقدسة في اليهودية والمسيحية:**

- **التلمود:**

- التلمود البابلي، رسالة عبدة الأوثان، من سلسلة رسائل تلمودية (أ) ترجمة وتقديم نبيل فياض، ط1، دمشق: دار الغدير،1991م.

- متن التلمود، المشنا، ترجمة د. مصطفى عبد المعبود سيد منصور، ط1، القاهرة، مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة، 2013م.

- **الكتاب المقدس:**

الكتاب المقدس، ط3، بيروت: دار المشرق، 1994 (طبعة معتمدة من بولس باسيم، النائب الرسولي للاتين).

- الكتاب المقدس على الموقع اللإلكتروني التالي:

http://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/search.php

➢ **شروح الكتابات المقدسة في اليهودية والمسيحية:**

- **بارتون (الدكتور بروس) وآخرون:**

- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ط3، القاهرة: شركة ماستر ميديا، 1997.

- **ملطي (القمص تادرس يعقوب ملطي):**

- شرح الكتاب المقدس – العهد الجديد. على الموقع الإلكتروني التالي:

http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-02-New-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty

➢ **مجلات علمية:**

- مجلة أديان، الإصدار الأول، عدد خاص عن (المودة والرحمة والمحبة في الأديان) لقاء مع الحاخام ستينساليتز، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، 2011م.

➢ **مراجع متنوعة:**

- **ابن إسحاق (محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي):**

- السيرة النبوية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط1، دار الكتب العلمية، 1424هـ.

- **بايه (ألبير):**

- أخلاق الإنجيل، دراسة سوسيولوجية، ترجمة: د. عادل العوا، ط1، دمشق: دار الحصاد، دار كنعان، 1997م.

- **ابن تيمية (أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم):**

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وآخرون، د.ط، القاهرة، الرياض: دار العاصمة، 1419هـ / 1999م.

- قاعدة في المحبة، تحقيق: أبوعبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، ط1، بيروت: دار ابن حزم، المكتب الإسلامي، 1999م، 1420هـ.

- مجموع فتاوى ابن تيمية، د.ط، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد، 1416هـ/1995م.

- **الجويني (إمام الحرمين: أبو المعالي عبد الملك).**

- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: أسعد تميم، ط1، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1985م.

- **حسب الله (علي):**

- أصول التشريع الإسلامي، د.ط، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

- **حميد الله (محمد):**

- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط6، بيروت: دار النفائس، 1407هـ، 1987م.

- **راتب النابلسي (محمد):**

- موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، العقيدة الإسلامية، أسماء الله الحسنى، اسم الله الودود.

http://www.nabulsi.com/blue/ar/te.php?art=3576

- **سبينوزا:**

- رسالة فى اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم د. حسن حنفى، مراجعة د. فؤاد زكريا، ط3، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1991م.

- **السَّخاوي، (عبد الرحمن):**

- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، د.ط، دار الكتاب العربي، د.ت.

- **الشاطبي (أبو إسحق إبراهيم بن موسى اللخمي):**

- الموافقات في أصول الشريعة، عناية الشيخ إبراهيم رمضان، شرح الشيخ عبد الله دراز، ط6، بيروت: دار المعرفة، 1425هـ، 2004م

- **الشوكاني (محمد على بن محمد).**

- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق وتعليق: د. شعبان محمد إسماعيل، د.ط، دار السلام، ط1، القاهرة، 1998م.

- **صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري:**

- الحماسة البصرية، تحقيق: عادل سليمان جمال، ط1، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1420 – 1999.

- **الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير):**

- تاريخ الأمم والملوك، د.ط، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د.ت.

- **عبد الرزاق عفيفي:**

- الولاء والبراء في الإسلام، ط12، القاهرة: دار الصفوة، 1423هـ.

- **العثيمين (محمد بن صالح):**

- فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، تحقيق وتعليق: صبحي محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، ط1، القاهرة: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، 1427هـ.

- القول المفيد على كتاب التوحيد، تحقيق: سليمان بن عبد الله بن حمود أبا الخيل، خالد بن علي بن محمد المشيقح، ط1، الرياض: دار العاصمة، 1415هـ.

- **علي بن أبي طالب.**

- نهج البلاغة، شرح: محمد عبده; أشرف على طبعه و زاد في شرحه: عبد العزيز سيد الأهل، د.ط، بيروت: مكتبة الأندلس, 374هـ، 1954م.

- **الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد):**

- إحياء علوم الدين، د.ط، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.

- **الغزالي (محمد):**

- الإسلام والاستبداد السياسي، ط1، القاهرة: دار نهضة مصر، 1997م.

- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، ط12، القاهرة: دار نهضة مصر، 2015م.

- **الفاتيكان (المجمع الفاتيكانى الثانى):**

- دستور"الوحى الإلهى"، تاريخ الإقرار 1965/11/18م. تاريخ النشر 1965/12/24، نقله عن اللاتينية إلى العربية الأب: يوسف الكلاس البولسى، ضمن كتاب (المجمع الفاتيكانى الثانى: دساتير، قرارات، بيانات) الذى أشرف على ترجمته وقام بالقسم الأكبر منها الأب:حنا الفاخورى، معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت، ط1، لبنان: المكتبة البولسية، 1992م.

- **أبوفرحة (د. جمال الحسيني):**

- الإحسان إلى مخالف الإيمان، قراءة في الكتب المقدسة: اليهودية والمسيحية والإسلامية، العطاء والدعاء أنموذجا، بنها: مجلة كلية الآداب جامعة بنها، 2015م.

- التحية والابتسام لمخالف الإيمان، قراءة في الكتب المقدسة: اليهودية والمسيحية والإسلامية ، السويس: مجلة كلية الآداب جامعة السويس، 2016م.

- التعايش مع الآخر، ط4، المدينة المنورة: دار الزمان، 1438هـ.

- الحوار مع الآخر: مفهومه وأهم أصوله وآدابه وأخطائه، ط2، المدينة المنورة: دار الزمان، عام 2013م.

- **قوجمان (ي):**

- قاموس عبري عربي، د.ط، بيروت: دار الجيل، عمّان: مكتبة المحتسب، 1970م.

- **ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، المعروف بابن القيم):**

- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تحقيق أحمد شمس الدين، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ.

- زاد المعاد في هدي خير العباد: ط27 بيروت: مؤسسة الرسالة، بيروت – الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، 1415هـ /1994م.

- **كارلسون (إنجمار):**

- الإسلام وأوربا: تعايش أم مجابهة، ط1، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2003م.

- **ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل):**

- البداية والنهاية، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية،1985م.

- **ابن منظور (محمد بن مُكَرَّم بن علي المصري):**

- لسان العرب، ط1، بيروت: دار صادر، د. ت.

- **موللر (هارالد):**

- تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتنجتون، ترجمة إبراهيم أبو هشهش، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد، 2005م.

- **ابن هشام:**

- السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري عبد الحفيظ شلبي، د.ط، القاهرة: ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده، د.ت.

- **أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد):**

- الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، د.ط، القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، 1997م، 1418هـ.

- **هنتنجتون (صامويل).**

- صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، تقديم د. صلاح قنصوة، ط2، القاهرة: شركة سطور، 1999م.

- **اليسوعي (الأب فاضل سيداروس اليسوعي وآخرون):**

- معجم اللاهوت الكتابي، ط2، بيروت: دار المشرق، 1988م.